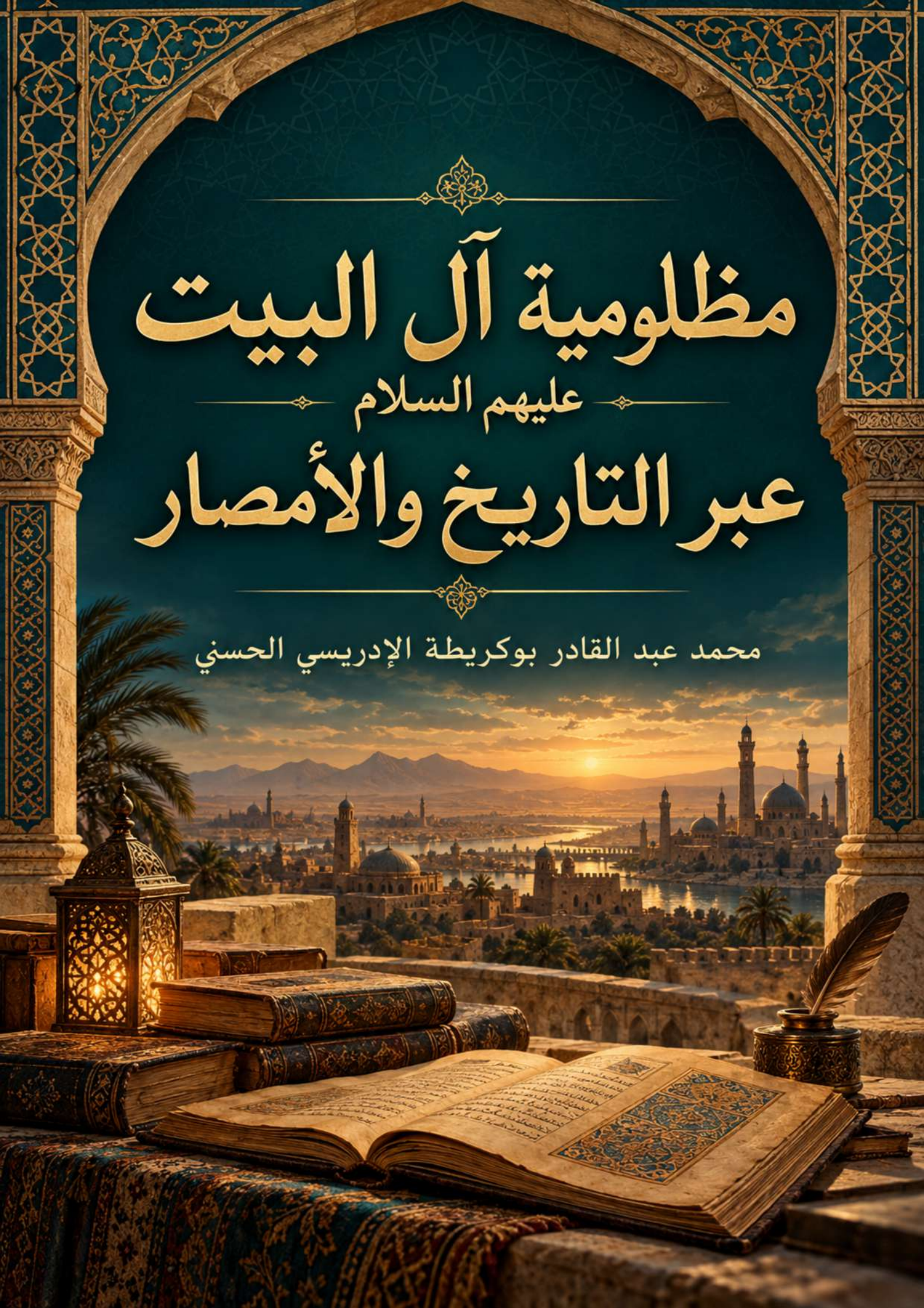
مظلومية آل البيت
عليهم السلام
عبر التاريخ والأمصار

محمد عبد القادر بوكريطة الإدريسي الحسني



مظلومية آل البيت عليهم السلام عبر التاريخ والأمصار

بسم الله الرحمن الرحيم

1.المقدمة

*اللهم صل على سيدنا محمد و آل سيدنا محمد و اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه وأكرم لديك نزله و شرف عندك منزله واته الوسيلة و الدرجة الرفيعة و المقام المحمود وأعطه السناء والفضيلة و احشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكثين و لا ناكبين ولا ضالين ولا مفتونين برحمتك يا ارحم الراحمين.

*اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد في الأولين و صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد في الآخرين و صل على سيدنا محمد و آل سيدنا محمد في المالئ الأعلى.

عندما طلب منى الأخ الفاضل الأستاذ محمد بن أحمد باغلي تحضير مداخلة مختصرة عن تاريخ آل البيت عليهم السلام بمناسبة التظاهرة الثقافية الكبيرة "تلمسان ،عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة" 2011" فكرت في هذا الموضوع و على عجالة اجتهدت يعلم الله تعالى انه راوداني إحساس عظيم ممزوج بالغبطة و التكليف في آن واحد ولكن قلت في نفسي طالما أن هذه المبادرة هي مبادرة خير أبتغي ورائها وجه الله تعالى ورسوله الكريم فبالتأكيد سأجد العون و المدد من الله في انجاز هذه الوثيقة المتواضعة فإن أصبت فهو منا من الله تعالى وإن أخطأت فمن نفسي و الشيطان و الله ولي التوفيق.

***الحمد لله الذي جعل العرب من أعلى الأمم قدراً واصطفى من أشرفها أصلاً سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم والذي ينقطع كل نسب يوم القيامة إلا نسبه.**

يقول الله تعالى في كتابه العزيز" إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا" الأحزاب-أية33.

والحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً والداعي إلى وجوب التعارف والتراحم

قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم".

والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين والقائل: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم" والنسب هو سبب التعارف وسلم التواصل, به تتعاطف الأرحام الواجبة وعليه تحافظ الأواصر القريبة ونحن لو عدنا إلى أحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهو من لا ينطق عن الهوى, لوجدنا أن معظم الأحاديث في هذا الشأن تدعوا إلى احترام رحم ونسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسب آل بيته، فهذا هو النسب و الرحم الموصول إلى يوم القيامة.

إننا ندرك تمام الإدراك الصعوبات و الحواجز التي ستقف أمامنا حيال تحقيق هذا المشروع الذي نسعى إلى إيصاله إلى أجيالنا القادمة لما نرى فيه من خير لهذه الأمة و نحن ندرك انه سيكون هناك من يعيب علينا هذا الطرح الجديد بحجة "إنهم أناس يتطهرون" و نحن نعلم أن مسألة التطرق إلى "مظلومية آل البيت عبر التاريخ والأمصار" ستسيل كثير من الحبر عند بعض نظرا لقصر النظر و جهل هذا الأمر و كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام" و الناس أعداء ما جهلوا"، إنه من المهم بمكان أن نشير في سياق الحديث عن "آل البيت" عليهم السلام أن هذا الإرث العظيم ليس حكرا على طائفة و لا على بلد ولا على شعب عربي أو عجمي ، بل بدون شك أن هذا الأمر هو "تراث مشترك" للأمة الإسلامية و للإنسانية جمعاء دون مزايدة و لا تعصب مقيت.

و ما جدوى و أهمية هذا الموضوع إلا لتبليغ رسالة و للتوعية النشء الجديد و تركيز دعائم الدين الحنيف و الأخلاق المحمدية حيث نرى بأم أعيننا ما يجري في مجتمعنا حيث الانحلال الخلقي و الأخلاقي وانتشار الرذيلة على مستوى واسع جدا و طغى الجهل بين الناس وطغت الماديات وغاب البحث في تاريخ الأنساب والسلالات عند كثير من الباحثين

و الكتاب و المثقفين ببلادنا و تحقق ما أردته الجهات الخارجية من سياستها الرامية إلى التفريق بين البطون و فرض ألقاب داخلة و سيئة السمع والتعريف ليختفي النسب الأصيل الجزائري و إسقاط الجنسية على الشرفاء و تحضير أرضية الصهر وتشجيع الزواج المختلط لتختلط الأنساب و تضيع الأجيال.

2.التعريف بآل البيت عليهم السلام.

اختلفت الروايات التاريخية في المعنى الأساسي لمصطلح أهل البيت وكل استند في اختلافه إلى آيات محددة من القرآن الكريم، فمن الروايات، ما ذهب إلى أن المقصود بذلك هو أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وهم: أزواجه وأولاده وجميع بني هاشم وبني عبد المطلب.

لكن الإجماع الذي حدث وخالف هذا التفسير نصّ على أن المقصود بأهل البيت هم: علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام، والآية:" إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهّركم تطهيراً" ، نزلت في خمسة: النبيّ صلّى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم .أمّا الآية: "قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نَزِد له فيها حُسناً " فهي تؤكد على نفس السياق الأول للآية المتقدمة، فقد سئل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: مَن قرابتك هؤلاء الذين وجب علينا مودتهم ؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما.

وتتفق الروايات على أن (أهل الكساء) هم المقصودون في تلك الآيات. عن عائشة أن النبيّ صلّى الله عليه وآله جلّل هؤلاء الأربعة (وهم: علي وفاطمة وابناهما) بكساء كان عليه، وعن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلّى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما ألا أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور. ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. و سنوضح في أكثر تفاصيل هذا الحديث.

وعن أبي ذر الغفاري قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: ألا إن مَثَل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

وأخرج الطبراني في الكبير قال: نظر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى علي والحسن والحسين وفاطمة، فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم.

وأصل المصطلح آل البيت والآل أصله في اللغة الأهل (كما في القاموس المحيط) وأُبدِلت الهاء همزة فصارت أأل حيث توالت همزتان، فأُبدلت الثانية ألفاً، فعندما نقول: أهل الرجل، نعني عشيرته.

وقد اختلف علماء المسلمين بشان تعريف (أهل البيت) أو (آل البيت) فعرفوا بأربعة تعريفات هي :

1.أهل البيت هم بني هاشم و بني المطلب و أستدلوا بحديث عن الصحابي زيد بن أرقم رضي الله عنه أنهم من حرموا الصدقة بعده آل الطالبين و آل العباس.

2.أهل البيت هم الأزواج و الذرية. و أستدلوا بقول الله عن امرأة العزيز لزوجها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءا.

3.أهل البيت هم كافة أمة محمد. و أستدلوا بقول الله عن قوم فرعون أنهم آله: ادخلوا آل فرعون أشد العذاب.

4.أهل البيت هم الإمام علي و فاطمة الزهراء و الإمام الحسن و الإمام الحسين و من صلح من ذريتهما.

و التعريف الأخير هو الصحيح قطعا و نقلا و طبقا لقرآن الله الكريم و ثابت عن سنة رسوله الصحيحة المتواترة و دليل ذلك من القرآن الكريم آية المباهلة في آل عمران 61:

"فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين".

و كان ذلك يوم المباهلة في 24 ذو الحجة 10 للهجرة عندما باهل رسول الله صلى الله عليه واله و سلم نصارى نجران فدعا رسول الله أهل بيته الإمام علي و فاطمة الزهراء و الحسن و الحسين وحدهم كونهم آله و لم يدع زوجة واحدة من زوجاته و لا عمه العباس و قال:« اللهم هؤلاء أهلي.»

"صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل علي بن أبي طالب.33"

و هناك تعليق رائع لشهيد آل البيت الفقيه و الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليهم السلام على آية التطهير حين تعرض الإمام زيد على تفسير أية التطهير في كتابه المشهور "الصفوة" فقال :

"و قد أعلم أن جهالا من الناس يزعمون أن الله إنما أراد بهذه الآية أزواج النبي. أفترى أن الله أراد بهذه الصفوة و ما ذكر من أهل الأنبياء نساءهم. أم رأيت موسى حين يقول (و أجعل لي وزيرا من أهلي) أهله الذي سأل منهم الوزير أزواجه ؟

و أما الآية التي ذكر الله فيها التطهير أهله و ذريته و لم يقل: إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس. ثم قال (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) فلم يفضلهن على أحد من النساء بآبائهن و لا بأمهاتهن و لا بعشيرتهن و لكن إنما جعل الله الفضل لهن لمكانتهن من النبي فكيف لا يكون لأهل بيته الفضل على بيوت المسلمين و رسول الله هو جدنا و أبن عمه المهاجر أبونا و أبنته أمنا و أفضل أزواجه جدتنا".

*** وسنسرد شهادات ثقات و مراجع علماء المسلمين بأن آية التطهير تخص أصحاب الكساء وحدهم :**

فأننا نجد صحاح جمهور المسلمين تذخر بالعديد من الشهادات بأن آية التطهير تخص الإمام علي و الحسن و الحسين و فاطمة الزهراء نذكر منها:

*3. الإمام مسلم (206-261 هـ)

نجد الإمام مسلم في صحيحه يقر صراحة بنفي أي علاقة بين المقصودين بأهل البيت و نساء النبي :

-*شهادة الصحابي الجليل زيد بن أرقم الأنصاري رضي الله عنه :

عن يزيد بن حبان قال انطلقت أنا و حصين بن سمرة و عمر بن مسلمة إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله و سمعت حديثه و غزوت معه و صليت خلفه حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله قال : قام فينا رسول

الله يوما خطيبا بماء يدعي" خما" بين مكة و المدينة فحمد الله ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب و أنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدي و النور ثم قال و أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي كررها ثلاثا . فقلت: من أهل بيته ؟ نساؤه ؟ قال: لا. و أيم الله أن المرأة تكون مع الرجل العصر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها و قومها. أهل بيته أصله و عصبه الذين حرموا الصدقة بعده.

" صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب فضائل علي بن أبى طالب كرم الله وجهه".

بل المدقق للرويات يرى أن الإمام مسلم رحمه الله تعالى يصنف هذه الرواية ضمن باب فضائل علي بن أبى طالب رغم أن أسم الإمام علي لم يذكر فيها مطلقا !و هذا يؤكد أن مصطلح (أهل البيت) و (الإمام علي)مترادفان في ذهن الإمام مسلم و معاصريه فإذا ذكر أهل البيت يفهم أن المقصود الإمام علي و بنوه تلقائيا.

-*شهادة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها :

عن عائشة : خرج النبي غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا".

*صحيح مسلم - كتاب فضائل أهل البيت.

4. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310 هـ)

ذكر في تفسير الطبري العديد من الشهادات بأن الآية تخص الإمام علي و فاطمة و أبناءهما :

-شهادة الصحابي أبى سعيد الخدري رضي الله عنه

-شهادة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها

-شهادة أنس بن مالك رضي الله عنه

-شهادة أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها

-شهادة الصحابي واثلة بن الأسقع الليثى

-شهادة عمر بن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنه

-شهادة الصحابي سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

فيذكر أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى في تفسير الآية:

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله أهل البيت فقال بعضهم: عنى به رسول الله علي و فاطمة والحسن و الحسين عليهم السلام و ذكر من قال ذلك :

-عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله :نزلت هذه الآية في خمسة في و في علي و حسن وحسين و فاطمة " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا".

-عن أنس بن مالك : أن النبي كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت .إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا.

-عن أم المؤمنين أم سلمة قالت : كان النبي عندي وعلي و فاطمة و الحسن و الحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا و ناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

-عن أبى الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي قال: رأيت النبي إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي و فاطمة فقال: الصلاة !الصلاة! .إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

-عن أبى عمار قال: إني لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا علي فشتموه فلما قاموا قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا إني عند رسول الله إذ جاءه علي و فاطمة و حسن و حسين فألقى عليهم كساء له ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

-عن أم المؤمنين أم سلمة قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق فوضعته بين يديه فقال: وأين ابن عمك وابناك ؟ فقالت

في البيت فقال: ادعيهم فجاءت إلى علي فقالت: أجب النبي أنت وابناك .قالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة فمده و بسطه و أجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه فقال: هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.....



***عن عمر بن أبى سلمة قال: نزلت هذه الآية على النبي و هو في بيت أم سلمة. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. فدعا حسنا و حسينا و فاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا علي فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال: وهؤلاء أهل بيتي فأذهب عنكم**

الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة: أنا معهم وأنت على خير.

-سمعت عامر بن سعد قال: قال سعد: قال رسول الله حين نزل عليه الوحي فأخذ علي و ابنيه و فاطمة وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: و رب هؤلاء أهلي و أهل بيتي.

*5. أبو عيسى محمد الترمذي(209-279 هـ)

*في سنن الترمذي – كتاب تفسير القرآن :شهادة عمر بن أم المؤمنين أم سلمة :

عن عطاء بن أبى رباح عن عمر بن أبى سلمة ربيب النبي قال لما نزلت هذه الآية على النبي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء و علي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة: و أنا معهم يا نبي الله. قال: أنت على مكانك و أنت على خير.

وانه لا يتسع المجال لذكر كل الروايات الصحيحة في حق حصر آل البيت في علي و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام و لنذكر فقط بعض المصادر والشهادات التي تؤسس و تجزم بأن آية التطهير تخص أصحاب الكساء الإمام علي وفاطمة و الحسن والحسين ومنها:

المعجم - أبو القاسم سليمان الطبراني

شواهد التنزيل - الحاكم الحسكانى

تذكرة الخواص - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى

تفسير محمد بن عمر فخر الدين الرازي

ينابيع المودة - سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفي

تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

أسد الغابة في معرفة الصحابة - علي بن أحمد بن أبى الكرم بن الأثير

الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تاريخ مدينة دمشق - أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر

أحكام القرآن - أبن عربي المالكي

مصابيح السنة-الحسين بن مسعود البغوي.



6. التعريف بمآسي آل البيت عبر التاريخ

دام البحث و التنقيب و التدقيق في كتب آل البيت كثيرا إلا أنني أجزم لم أجد كتاب أجود وأروع من كل المصادر التي حاولت البحث فيها فرغم وجود كتابين رائعين هما "تذكرة الخواص" لسبط ابن الجوزي و كتاب "نور الأبصار في ذكر آل النبي المختار" للشيخ الشبلنجي إلا أن أروع وأعظم ما جلب انتباهي عن مآسي و مصائب آل البيت، كتاب واحد ،رائع في آن واحد و هو كتاب "مقاتل الطالبيين" لأبي الفرج الأصفهاني و الذي سأقدم لكم منه نبذة مختصرة:

*نبذة عن كتاب "مقاتل الطالبيين" و مؤلفه:

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني

*مقاتل الطالبيين : ترجم أبو الفرج في هذا الكتاب جميع الشهداء الطالبيين أي من كان من ذرية عبد المطلب بن عبد مناف ، منذ عصر النبوة إلى الوقت الذي ألف فيه أبو الفرج كتابه في عام 313 ه-925م سواء كان المترجم له قتيل الحرب أو صريع السم في السلم وسواء أكان مهلكه في السجن ، أم في مهربه أثناء تواريه من السلطان كما أوضح أبو الفرج هذا المعنى في مقدمة الكتاب، وأبو الفرج في تصويره لمصارع الطالبيين وعرضه لتراجمهم وتقديمه لمناقبهم وفضائلهم يبدو شديد العطف عليهم ، لا يرى في مصائبهم إلا كل فضيلة ومجد ، بل يراهم دائما يسلكون سبيل الحق في نهضتاهم ضد الدولة الأموية ، مع أن خلفاء هذه الدولة هم آباؤه الصلبيون الذين لا ينكر أبو الفرج نسبته إليهم ، وان كانت هذه النسبة كما لاحظت لم ترد عنده في موضع الفخر والاعتزاز.

*وكتاب (مقاتل الطالبيين) طبع للمرة الأولى على الحجر في مدينة طهران عام 1307ه-1889م ، وهي طبعة مشحونة بالأخطاء، وقد أعادت طبعه المطبعة الحيدرية في النجف عام 1353ه-1934م فكانت أفضل من سابقتها كثيرا، ثم أعيد طبع الكتاب للمرة الثالثة في القاهرة بعناية الأستاذ السيد احمد صقر عام 1368-1948م بعد أن قابله على نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية كانت في الأصل من ممتلكات الإمام يحيى ملك اليمن الأسبق ، ومع أن هذه النسخة مكتوبة بعد الألف الهجرية إلا أنها كانت عونا لتقويم بعض التصحيفات والتحريفات التي وقعت في الطبعتين السابقتين.

ولذلك ارتأى الأخ الفاضل محمد كاظم الكتبي صاحب المطبعة الحيدرية ومكتبتها إعادة طبع الكتاب للمرة الثانية بالنسبة لمطبعته وللمرة الرابعة بالنسبة لمجموع طبعات الكتاب، وقد عهد إلي الأخ الكتبي قراءة مسودات الكتاب والنظر فيه قبل الإقدام على نشره بهذه الحلة الجديدة ، و الكتاب قد خرج وهو اقرب ما يكون إلى الصحة والصواب ،لينتفع به الباحثون ، فهو من اجل كتب التاريخ والتراجم التي عرفناها في اللغة العربية .

النجف 10 / 8 / 1965 كاظم المظفر.

7. واقعة الطف أو كربلاء

فقبل أن نتطرق إلى هذا الجانب من بحثنا من المهم بمكان أن نذكر أن أكبر مأساة و مصيبة جرت للآل البيت عليهم السلام هي واقعة الطف أو كربلاء في يوم العاشر من محرم 61 للهجرة الموافق ليوم العاشر من أكتوبر 680 ميلادي و لمزيد من المعلومات الرجاء الذهاب إلى الرابط المشار أدناه لقرآه الموضوع كاملا و لكن باللغة الإنجليزية:

إن مأساة كربلاء او حادثة الحسين (ع) مثلت دوراً من اسمى ادوار الانسانية الفذة ولقنت العالم الاسلامي دروساً لن تنسى ابد الدهر ، فمن هذه المدنية الخالدة وجه الحسين (ع) ضربته القاضية بوجه الامويين، وفي هذه البقعة الشريفة خاض الشهداء معركة الحق والكرامة، فأهرقت دماؤهم البريئة وروت ارض الطف فاصطبغت بدمائهم ، وبذلوا انفسهم الكريمة من اجل العزة والسيادة، فكانت احسن وقع في نفس الاسلام وفي تحقيق الوحدة الاسلامية النبيلة. ومن يتصفح التاريخ الاسلامي يلتمس تلك المنـزلة والقداسة التي جلت بهذه المدينة المقدسة منذ مقتل سيدنا الحسين (ع) حتى يومنا هذا.....

لقد اعطى الامام الحسين (ع) لشباب العالم وشيوخ الامم دروساً بليغة في النضال والحرية والدفاع عن شرف النفس، فقدم نفسه واهله واطفاله ضحايا على رمال الصحراء، وقرابين مذبح الشرف والاباء في سبيل تقويم شرعة جده، وهكذا وقف الحسين موقفه الجبار في عرصات الطفوف غير هياب ولا مكترث، ولسان حاله يقول:

ان كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي، يا سيوف خذيني

هذا دمي فلترو صاديه الظبا منـه، وهذا بالرماح ونيني

ويوم عاشوراء يمر علينا كل عام بعد استشهاد الحسين في العاشر من المحرم، ليعيد لنا ذكرى بطولة ابي الاحرار وموقفه الحازم من الطاغية يزيد، ذلك الصراع الذي دار بين الحق والباطل، فكاد الظلم ان يندحر والعدالة ان تنتصر، والحق يعلو ولا يعلى عليه، ومن يتعمق في هذه الفاجعة الرهيبة ويتصور موكب المجد السائر في طريقه نحو التضحية والشهادة

ومواقف بطل العلقمي في الدفاع عن حرم الحسين ومصرعه الرهيب في كربلاء، ويستمد منها دروساً وعبراً، فحري بنا ان نمجد بطل هذه الذكرى وحامل لواء التضحية والبطولة في التاريخ، وحري بنا ان نتعظ بتلك الدروس ونتقبل تلك العبر لكي نستطيع ان نشق طريق الحياة بحرية محبته ونبني مجدنا ونعيد للامة الاسلامية مكانتها المرموقة في التاريخ ، ان التشاور والتآزر ووحدة الصفوف وجمع الكلمة وضرب الحزازات والعمل في سبيل المصلحة العامة وغيرها من جلائل الاعمال تمهد لنا السبيل لتحقيق رسالة الحسين وتأدية الواجب المقدس و هناك مجموعة من القضايا في التاريخ بلغت ذروة الذروة في المأساة والكارثية ، في الاضطهاد والمحرومية ، وفي المظلومية بجميع صورها ، وفي المغدورية بأبعادها كافة . وقد تتجلى لنا هذه المأساة والكارثية ، وهذه المظلومية والمغدورية بشكل يعجز القلم تماما عن الايفاء بحقها وحقيقتها ، وعن بيانها وتحريرها وتسطيرها ، وعن تصويرها وتخيّلها في العالم القديم ، كما العالم الحديث فالمعاصر إرتكب الانسان تجاه أخيه الانسان أسوأ الكوارث وأقبح المآسي ، بحيث إنها خارجة عن العد والتعداد ، وعن الحصر والاحصاء ، وعن الوصف والتوصيف!!!

أما إنه توجد قضايا قد وصلت ذروة الذروة كما قلت آنفا في غربتها وغرابتها ، وفي مشروعيتها وعدالتها وحقّانيتها ، وفي أبعادها المأساوية كافة ، وهي"

***مأساة كربلاء أبو الأحرار وسيد الشهداء الامام الحسين سلام الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأتباعه الشهداء الأخيار الأبرار، إذ إن هؤلاء الأتباع الشهداء قد ضربوا أروع الأمثلة وأسماها وأرقاها في الشجاعة والاقدام والاستبسال ، وفي الصبر والتصابر والمصابرة ، وفي الجهاد والكفاح والمقاومة ، وفي المروءة والشهامة ، وفي الايثار ونكران الذات ، وفي العدل والعدالة والانسانية ، وفي السلم والسلام .....**

حينما يمر التاريخ بعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحرملة وكل المنافقين الذين شاركوا بواقعة الطف الدامية، يتساءل ؟هل هؤلاء كان لهم دين؟ هل يمتلكون ذرة من الاخلاق؟ هل أغرتهم أموال يزيد أو وعوده بملك الري وجرجان!!وقد أنزلهم التاريخ المنزلة التي يستحقونها بالازدراء والانتقاص ووصمهم بالانحراف وسلوك أبشع الرذائل وارتكاب أكبر المحرمات بقتل ابن نبيهم وأهل بيته الذي نزل ربع القرآن بحقهم ويصدح بذكرهم آناء الليل وأطراف النهار:

"قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة بالقربى" و "انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا" ويقول المصطفى صلى الله عليه واله" مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق وهوى"....

"إني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تظلوا من بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".....

كل ذلك وتجرأ المردة العتاة على فعل أقبح القبائح بقتل الامام الحسين(سيد الشهداء)دون حرمة لجده وابيه أمير المؤمنين وسيد البلغاء ورائد العدالة الانسانية ويعسوب الدين يقول:

ابن عباس ربع القرآن نزل بحق علي فكل آية فيها يأيها الذين آمنوا فالمقصود الامام علي لأنه اول من آمن بدعوة محمد ، و الذي يقول بحقه المصطفى (صلى الله عليه واله)

لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله النار، وعلي مع الحق والحق مع علي ، اسوق هذه المقدمة لمن يبخس حقهم من الاولين والاخرين، لقد عمل بني أمية وبني العباس محاولات كثيرة لطمس معالمهم والتنكيل بأتباعهم ومحبيهم ووصلت الجرأة بالمتوكل الى محاولة أغراق الضريح وحار الماء ولم يمسه بسوء ،وقد تجرأ الوهابيون قبل قرنين وهجموا على ضريح الامام الحسين وقتلوا الزوار في داخل الضريح ،وهذه الايام افتى الجاهل ابن جبرين بهدم العتبات المقدسة واحراق قبر سيد الشهداء!!! والاكثر سوء في تقديري هو ان يتقاتل اتباع اهل البيت في ضريح الامام الحسين....

امّا إذا كانت المصيبة مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) والرأس المقطوع هو رأس الإمام الحسين (عليه السلام) ، فنحن صحيح نريد ان نفكر تفكيراً علمياً، ولكن هذا التفكير العلمي يقتضي ان ننظر إلى الأمور من جميع جوانبها هذا الإمام الحسين (عليه السلام) وليس شخصاً عادياً، ثم نفس مظهر قطع الرأس لو أنت تصورّته تصوراً حقيقياً لما استطعت ان تتمالك نفسك، فلو شاهدت جثة ميت عزيز عليك، وأنت حالك بالنسبة إليها طبيعي....

كيف إذا رأيت رأسه مفصولاً عن الجسد؟!!. هنا يكاد الإنسان ان ينفجر غيظاً وحزناً وأسىً على ان يشهد هذا المنظر، فكيف إذا كان الذي يشهد المنظر هي الحوراء زينب (عليها السلام) التي هي أعرف الناس بالإمام الحسين (عليه السلام) وكيف إذا كان الرأس هو رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وكيف إذا كان هذا الموقف مسجّل في أول مشهد تشهده الحوراء زينب (عليها السلام) بعد ان تفارق الإمام الحسين (عليه السلام) بسويعة وهو يودعها ويدافع عنها وعن حريمه....

كما تذكر بعض الروايات في آخر وداع، قال بن سعد: ارموا الرجل ما دام مشغولاً بتوديع حرمه، فرموا السهام إلى داخل المخيم، فشك بعضها أُزر النساء فدهشن، فخرج الإمام الحسين (عليه السلام) يقاتل ويدافع عن حريمه والنساء ينظرن إليه، هذا مشهد، ثم في آخر مشهد تشهد رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، فهذا طبيعي يستوجب موقف شديد واستثنائي، ألم نسمع عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة وهو يذكر مصيبة من المصائب التي جرتْ وكانت بسبب تخاذل بعض المسلمين عن نصرة مسلمين آخرين ممن تعرضوا لعدوان من قِبل جماعة معاوية ـ قوله:

فلو ان رجلاً مسلماً مات من بعد ذلك أسفاً مما كان به ملوماً ، بل كان عندي جديراً) (

فالموت بحسب تعبير الإمام علي (عليه السلام) يكون به الشخص جديراً فكيف بواقعة الطف؟! ومع هذا الحوراء زينب (عليها السلام) لم تمت، قد يكون لولا أن الحسين (عليه السلام) قال لها: (ربط الله على قلبك بالصبر) لكان قد ماتتْ، فان الإمام زين العابدين (عليه السلام) في بعض الروايات عندما رأى المشهد الدامي وهو مشهد الجثث مقطوعة الرؤوس

قال: "كادت نفسي ان تخرج، حتى اقتربت منّي عمتي زينب (عليها السلام) وقالت لي: مالي أراك تجود بنفسك يا بقية الماضين وثمال الباقين... الخ".....

فان يكون مظهر هذا الحزن والتفجع بهذه الطريقة هذا شيء طبيعي وليس من حقك ان تلغيه بشكل قطعي ونهائي، فلا ينبغي ان ننظر إلى الأمور بهذه النظرة الناقصة ، وانتم يا مَن تدينون ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) على أساس العَبرة فقط وتدعون العِبرة أيضاً، وتؤكدون على البرامج التي قامتْ بها الحوراء زينب (عليها السلام) التي كان لها أثر كبير في توعية الأمة لأجل ان تكون نظرتنا كاملة، لا تقعوا في نظرة ناقصة أخرى، فلتكن نظرتنا كاملة، فهذه الحوراء زينب (عليها السلام) لا بأس انها حينما تنظر إلى رأس الحسين (عليه السلام) بتلك الحالة تتفجع وتتألم وتدمع ويحزن القلب ولا تقول ما لا يرضي الرب.....

هذا هو الحدّ، الحدّ ان لا يقول الإنسان ما لا يرضي الربّ، ولكن هي هذه المرأة بنفسها تقف في قصر الأمارة أو قصر يزيد (لعنهم الله) وأيضاً لتشهد ما يرتكبه ذلك اللعين من التشفي برأس الحسين (عليه السلام) وهي تقول هذا الكلام، وقلبها مفعم بالألم، اذن هذا الخزين العاطفي المأساوي الذي كان انعكاساً لتلك المجزرة التي لم يشهد التأريخ نظيراً لها، من حيث شخوصها لا يمكن ان نُلغيه ، لان هذا له دور في إبقاء وتحريك هذا الجانب الرسالي في القضية.

اما أن ننظر نظرة ناقصة، هذا في الحقيقة من الإجحاف والظلم لنصوص مأساة كربلاء، ان نتعامل معها بهذه الطريقة ، فكوني لا أفهم هذا الأمر أو أنا أعيش حالة جمود أو حالة برود تجاه الإمام الحسين (عليه السلام)، فما أتعقل أن شخصاً ما، يجزع ويتألم للإمام الحسين (عليه السلام) بهذه الطريقة ، لان أنا انظر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) كوجود تأريخي وكرقم ليس إلاّ، ولا أنظر إليه (عليه السلام) كمصدر ومنبع ولائي....

يا مؤمنون: الإمام الحسين (عليه السلام) وليُنا، الإمام الحسين (عليه السلام) حبيب قلوبنا فإذا أنا جمدتُ موقفي العاطفي تجاه أهل البيت (عليهم السلام) خسرتُ مودّتهم التي هي أجر الرسالة (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى)، فلبدّ لان نأخذ هذا الجانب بعين الاعتبار، طبعاً أُكد مرة أخرى: لا يعني هذا أننا ننطلق بمنطلقات عاطفية صرفة من دون أن نخضعها لموازين البحث العلمي بحيث نقول بما تملي عليه عواطفنا ونغالي ونبالغ ونختلف من الروايات ما شئنا ، بل هذا في الحقيقة ليس مناسباً للعاطفة الحقيقية بل هي خيال فقط قد اقترن اسمها في تاريخنا والتاريخ الإنساني بمأساة فاجعة هي مأساة اجمع المؤرخون على انها كانت احدى المعارك الحاسمة في التاريخ الاسلامي بل عدوها الطور الحاسم الذي ثبت التشيع ومكن له كمذهب الذي صبغ تاريخنا السياسي والمذهبي بتلك الصبغة الدامية.

وقد ظهرت السيدة زينب كبطلة لواقعة كربلاء وهي تثور للضحايا شهداء الذين تركوا في العراء اشلاءا مبعثرة تنهشها الطيور والوحوش ، وقد برز دورها الحقيقي بعد انتهاء المعركة اذ كان عليها ان تحمي السبايا من الهاشميات اللاتي فقدن الرجال وان تناضل

مستميتة عن غلام مريض(زين العابدين) الذي كاد ان يذبحه الاوغاد لولاها فتفنى يومئذ سلالة الامام عليه السلام ...

بكل تأكيد أن السيدة زينب عليها السلام لم تعش طويلا بعد الفاجعة لان مكابدته من محن و آلام لا يحتمل او يطاق لكنها استطاعت في تلك الفترة القصيرة ان تشعل في نفوس المسلمين كلهم والشيعة خصوصا حزنا مستعرا لم يخمد لهيبه حتى اليوم وان ترهق الذين خذلوا أهل البيت عليهم السلام جميعا بوخز الحسرة والندم وان تجعل التكفير عن خطيئتهم ميراثا رهيبا مقدسا يتوارثونه جيلا بعد جيل ، فلقد بقي صوتها يدوي في اذانهم ويملا الفضاء من حولهم مذكرا اياهم بجريمتهم النكراء، ولقد وقفت السيدة زينب على جثث الشهداء الطاهرة وهي تصيح باهل الكوفة الذين بكوا لما رأوا موكب الاسرى من بنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : " اتبكون؟ فلا سكنت العبرة....، وقد استجابت السماء فلم تسكن للقوم عبرة ،هذه هي بطلة كربلاء عقيلة بني هاشم استطاعت ان تثار لأخيها الشهيد العظيم الامام الحسين عليه السلام وان تسلط معاول الهدم على دولة بني امية وان تغير مجرى التاريخ!!!!

ومن كرامات سيدنا و مولنا الإمام الحسين وكما عبرت عن ذلك أخته السيدة الحوراء زينب عليها السلام :" الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه حيث يقول : " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون"

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا على الله هوانا ، وبك عليه كرامة ، وان ذلك لعظم خطرك عنده ؟ فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسرورا ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلا مهلا ، أنسيت قول الله تعالى : " وَلاَ يَحْسَبَنَّ " الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولي ، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فو ؟ أكباد الازكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل

اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا . فو الله ما فريت الا جلدك ، ولا حززت الا لحمك ، ولتردن على رسول الله (ص) بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون.....

فكد كيدك وناصب جهدك ، فو الله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك الا فند وأيامك الا عدد ، وجمعك إلا بدد ، يوم ينادى المنادي ألا لعنة الله على الظالمين

ان بلاغة زينب(عليها السلام) وشجاعتها الادبية ليس من الأمور الخفية، وقد اعترف بها كل من كتب في واقعة كربلاء ونوه بجلالتها اكثر أرباب التاريخ.

***مثير الأحزان واللهوف -ج 3ص 163.**



فمن كرامات السيدة زينب سلام الله تعالى ودعاؤها على أعداء الله فقد بقي رسم الإمام الحسين الى يومنا هذا و المتمثل في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام.



أربعينية الحسين عليه السلام

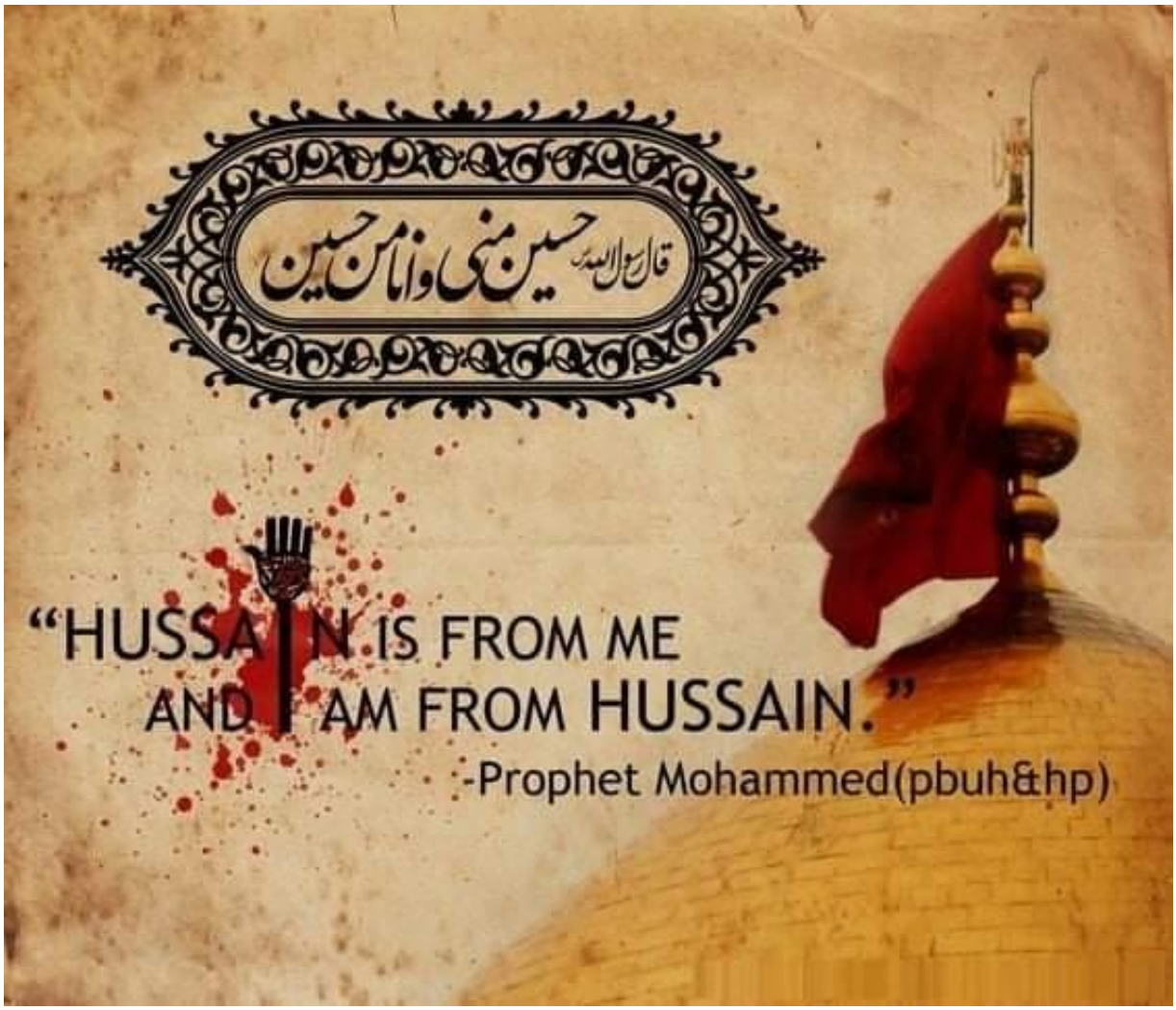
زيارة الأربعين التي نشهدها في كربلاء بالعراق ليست طقساً منتزعاً من فراغ، ولاهيَ تقليداً جديداً ابتدعه العراقيون الذين تحلّقوا حول قبر الإمام الحسين و هي، بالتأكيد، اقتفاء لأثر واحد من أبرز الصحابة المنتجبين والمحدثين الصادقين، أي الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، الذي كان أول من زار قبر سيد شباب أهل الجنة بكربلاء بعد مرور أربعين يوماً على استشهاده في عاشوراء العام 61 للهجرة، فقد ولد جابر بن عبد الله بن حزام في المدينة قبل خمسة عشر عاماً من الهجرة، وهو من قبيلة الخزرج المعروفة، وكان هو وأبوه عبد الله بن حزام من السابقين إلى الإسلام ونال الشهادة والده في معركة أُحُد، وشهد جابر نفسه معركة بدر وثماني عشر معركة أخرى إلى جانب النبي الأكرم، وشهد معركة صفين مقاتلاً إلى جانب الإمام علي بن أبي طالب.....

أصيب هذا الصحابي والمحدّث الجليل بفقدان البصر في أواخر عمره، ومع ذلك فقد توجه إلى كربلاء حيث قبر الإمام الحسين مصطحباً معه عطية العوفي المحدّث المعروف، وفي كربلاء، اغتسل هذا الشيخ الجليل في ماء الفرات، وتطيّب وتعطّر، واتجه هناك إلى قبر سيد الشهداء الإمام الحسين، مخاطباً إياه بكلام مؤثر تردده الأجيال وتتلاقف أصداءه جنبات التاريخ، إذ خاطب الإمام الحسين بصوت متهدّج قائلاً:
"أحبيبٌ لا يجيب حبيبه؟ ".....
ثم زار الزيارة المأثورة الآن، وسلّم على شهداء كربلاء جميعاً وعاد إلى المدينة المنورة، وروي عنه في طريق عودته قوله لعطية العوفي:
"أحبّ محبّ آل محمدٍ ما أحبّهم، وابغض مبغض آل محمدٍ ما أبغضهم، وإن كان صوّاماً قوّاما"....

دفع جابر الأنصاري ضريبة الوفاء والحب لأهل البيت حينما وشم الحجاج بن يوسف الثقفي جسده بالنار بسبب موالاة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكن الأجيال اللاحقة كرّمته عبر استعادة ذكراه العطرة في الأربعين الحسينية وكأنه واحد من أبرز ممن دافعوا عن الإمام الحسين الشهيد واستشهدوا معه....

ويتردّد اسم جابر على لسان زوار الحسين وفق الأهزوجة الشهيرة للمرحوم حمزة الزغيّر:
"جابر يجابر ما دريت بكربله اشصار من شبّوا النارّ"....
لكنهم يعنون بالفعل أنه أول من زار وأول من دري وأول من سنّ هذه السنّة الحسنة.....

فرضوان الله على جابر بن عبد الله الأنصاري ؛ الشيخ الكفيف والبصير قلباً وقالبا ...
ورزقنا رؤية وجهه الباسم في حضرة الحسين عليه السلام أمين يا رب العالمين .....



أما تركيزنا في هذا البحث فسيتمثل في أربع مواقع كبرى و باختصار وهم:

8.واقعة فخ:

واقعة فخ أو "كربلاء الثانية" لآل البيت عليهم السلام أي يوم التروية من سنة 169 للهجرة حيث ثار العلوي المقدام الحسين بن على الخير بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبى بن الإمام علي بن أبى طالب و فاطمة الزهراء بنت النبي محمد عليه واله أفضل الصلاة و التسليم ،في موسم الحج

" 8 ذي الحجة سنة 169 ه الموافق 11 حزيران أو جوان سنة 786 م"

ومن المعلوم ان ثائر فخ الحسين بن على الخير والدته تكون زينب بنت عبد الله المحض وبالتالي يكون المولى ادريس خال ثائر فخ وقد شارك المولى إدريس فى المعركة وابلى بلاء حسنا ولكن بعد انهزام الجيش العلوى نجى من المعركة مع خادم له يقال له راشد بن مرشد الأوربي اصله من قبيلة اوربة البربرية في المغرب الاقصى فسار راشد بالمولى ادريس الى دياره وقبيلته مبتعدا عن اماكن نفوذ الدولة العباسية آنذاك، فالتاريخ يشهد أن لم يراع العبّاسيون أي الطغمة العسكرية الانقلابية المتسلطة على رقاب المسلمين كلّ قيم وحدود الإسلام والأخلاق، ولا قرابتهم من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، مع أنّ العبّاسيين ما قامت دولتهم وسلطانهم إلّا باسم القرابة من العلويين، فما أن استتبّت الأُمور في أيديهم حتّى راحوا يقتلون ويتتبّعون العلويين في كلّ مكان، حتّى قال أحد شعراء ذلك الوقت:

تالله ما فعلت أُميّة فيهم ** معشار ما فعلت بنو العباس.....

*سبب الواقعة

عانت الأُسرة العلوية في عهد الطاغية موسى الهادي الخوف والإرهاب، فقد أخاف العلويين فالاضطهاد الذي لحق العلويين والمعاملة القاسية لهم، كان من أهمّ الأسباب التي ثار من أجلها صاحب فخ، حيث جنّد العلويين الموجودين في المدينة المنوّرة، وخرج بهم مع نسائهم وأطفالهم متوّجهاً نحو مكّة المكرّمة؛ ليثور على والي مكّة المنصوب من قبل الحاكم موسى الهادي، ولكنّ الوالي أرسل إليهم جيشاً كبيراً فقاتلوهم في منطقة فخ.

تاريخ الواقعة ومكانها

الثامن من ذو الحجّة 169هـ، ومكانها: وادي فخّ، يبعد حوالي فرسخ - 5500 متراً - عن مكّة المكرّمة

قائد الثورة

السيّد أبو عبد الله، الحسين بن عليّ الخير بن الحسن المثلّث بن الحسن المثنّى ابن الإمام الحسن المجتبى(عليهم السلام).

موقف الإمام الكاظم(عليه السلام) من الواقعة

عندما عزم الحسين صاحب واقعة فخّ أن يثور على الأوضاع الفاسدة التي وصلت إلى حدّ الإذلال والاضطهاد الشديد لكلّ من هو علوي يوالي الإمام الكاظم(عليه السلام)، أقبل الحسين إلى الإمام يستشيره في ثورته، وعرض عليه فكرة الثورة، فالتفت إليه الإمام(عليه السلام) قائلاً: «إنّك مقتول فأجِدَّ الضِّرابَ، فإنّ القوم فسّاق، يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعند الله عزّ وجلّ أحتسبكم من عُصبة، وعن إبراهيم بن إسحاق القطّان، قال: «سمعت الحسين بن عليّ ويحيى بن عبد الله يقولان: ما خرجنا حتّى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر، فأمرنا بالخروج»

عدم خروج الإمام الكاظم(عليه السلام) إلى الواقعة

لم يخرج الإمام الكاظم(عليه السلام) مع الحسين رغم علمه بأنّ السلطة سوف تحمّله مسؤوليتها، كما حمّل هشام بن الحكم الأُموي جدّه الباقر(عليه السلام) مسؤولية ثورة زيد، وحمّل المنصور أباه الصادق(عليه السلام) مسؤولية ثورة محمّد النفس الزكية؛ وذلك لعلمه مسبقاً بالنتائج وبمآل الثورة، ولمصالح أُخرى يعلمها ويقدّرها الإمام(عليه السلام).

*عظم الواقعة

لقد قُتل في واقعة فخّ نحو مئة نفر من ذرّية السيّدة فاطمة الزهراء(عليها السلام)، وقُطعت رؤوسهم، وسُبيت النساء والأطفال، ثمّ أُرسلت رؤوس القتلى إلى الطاغية موسى الهادي ومعهم الأسرى، وقد قُيّدوا بالحبال والسلاسل، ووضعوا في أيديهم وأرجلهم الحديد، فأمر الطاغية بقتل السبي حتّى الأطفال منهم على ما قيل، فقُتلوا صبراً وصُلبوا على باب الحبس

عن أبي الوضّاح محمّد بن عبد الله النهشلي، قال: أخبرني أبي قال: لمّا قُتل الحسين بن عليّ صاحب فخّ، وتفرّق الناس عنه، حُمل رأسه والأسرى من أصحابه إلى موسى بن المهدي، فلمّا بصر بهم أنشأ يقول متمثّلاً:

بني عمّنا لا تنطقوا الشعر بعدما ** دُفنتم بصحراء الغميم القوافيا

فلسنا كمَن كنتم تصيبون نيله ** فنقبل ضيماً أو نحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فينا مسلّط ** فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

وقد سأني ما جرت الحرب بيننا ** بني عمّنا لو كان أمراً مدانيا

فإن قلتم إنّا ظلمنا فلم نكن ** ظلمنا ولكن قد أسأنا التقاضيا

أحداث بعد الواقعة

قال ياقوت الحموي :

«بقي قتلاهم ثلاثة أيّام حتّى أكلتهم السباع، ولهذا يُقال: لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشدّ وأفجع من فخ".....

ـ عن بعض الطالبيين قال: «لمّا قُتل أصحاب فخّ جلس موسى بن عيسى بالمدينة، وأمر الناس بالوقيعة على آل أبي طالب، فجعل الناس يوقعون عليهم حتّى لم يبق أحد....

ـ قالوا: «ولمّا بلغ العمري وهو بالمدينة قتل الحسين بن عليّ صاحب فخّ، عمد إلى داره ودور أهله فحرقها، وقبض أموالهم ونخلهم فجعلها في الصوافي المقبوضة»

ـ نقل أبو نصر البخاري عن محمّد الجواد (عليه السلام) أنّه قال: «لم يكن لنا بعد الطفّ مصرع أعظم من فخّ».....

الإمام الكاظم(عليه السلام) ونعي صاحب الواقعة

لمّا سمع الإمام الكاظم(عليه السلام) بمقتل الحسين(سلام الله تعالى عليه) بكاه وأبّنه بهذه الكلمات: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً، صوّاماً قوّاماً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله»

وقال الشاعر دعبل الخزاعي:

قبورٌ بكوفان وأُخرى بطيبة ** وأُخرى بفخٍّ نالها صلواتي....

من شهداء الواقعة

1ـ الحسين بن عليّ الخير بن الحسن المثلّث بن الحسن المثنّى ابن الحسن السبط.

2ـ سليمان بن عبد الله المحض بن الحسن المثنّى ابن الحسن السبط؟؟؟

3ـ يحيى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنّى ابن الحسن السبط.

4ـ الحسن بن محمّد بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنّى.

5ـ عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن المثنّى.

6ـ عبد الله بن إسحاق بن الحسن بن عليّ بن الحسين.

7ـ عمر بن إسحاق بن الحسن بن عليّ بن الحسين.

8ـ عليّ بن إبراهيم بن الحسن المثنّى.

9ـ إبراهيم بن إسماعيل طباطبا.

فضل شهداء الواقعة

ـ عن زيد بن عليّ (عليه السلام)، قال: انتهى رسول الله(صلى الله عليه وآله) إلى موضع فخّ، فصلّى بأصحابه صلاة الجنازة، ثمّ قال:

"يقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، يُنزل لهم بأكفانٍ وحنوطٍ من الجنّة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنّة".....

ـ عن الإمام محمّد الباقر(عليه السلام)، قال: «مرّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بفخّ، فنزل فصلّى ركعة، فلمّا صلّى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلمّا رأى الناس النبيّ(صلى الله عليه وآله) يبكي بكوا، فلمّا انصرف قال: "ما يبكيكم"؟ قالوا: لمّا رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله.

قال: "نزل عليَّ جبرئيل لمّا صلّيت الركعة الأُولى فقال: يا محمّد، إنّ رجلاً من ولدك يُقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين"»

ـ عن النضر بن قرواش، قال: «أكريت جعفر بن محمّد(عليهما السلام) من المدينة إلى مكّة، فلمّا ارتحلنا من بطن مرّ، قال لي: "يا نضر، إذا انتهيت إلى فخّ فأعلمني"، قلت: أو لست تعرفه؟ قال: "بلى، ولكن أخشى أن تغلبني عيني" ، فلمّا انتهينا إلى فخّ دنوت من المحمل، فإذا هو قائم، فتنحنحت فلم ينتبه، فحرّكت المحمل فجلس، فقلت: قد بلغت.

فقال: "حلّ محملي"، فحللته، ثمّ قال: "صل القطار"، فوصلته، ثمّ تنحّيت به عن الجادة، فأنخت بعيره، فقال: "ناولني الإداوة والركوة"، فتوضّأ وصلّى ثمّ ركب

فقلت له: جُعلت فداك، رأيتك قد صنعت شيئاً، أفهو من مناسك الحجّ؟ قال : "لا، ولكن يُقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنّة"...

ـ عن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال: «حججت مع أبي، فلمّا انتهينا إلى فخّ أناخ محمّد بن عبد الله بعيره، فقال لي أبي: قل له يثير بعيره، فقلت له فأثاره، ثمّ قلت لأبي: يا أبه، لم كرهت له هذا؟ قال: إنّه يُقتل في هذا الموضع رجل من أهل بيتي يتعاوى عليه الحاجّ. فنفست أن يكون هو...

فسلام الله سرمدا على الحسين بن علي و على تلك الأرواح الطاهرة التي حلت بأرض فخ و جعلنا الله تعالى من جيرانهم في الجنة و صلى الله على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد في الأولين وفي الآخرين و في الملاء الأعلى مع الملائكة المقربين.....

***تنبؤات النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن واقعة فخ وأصحاب فخ، فقد روى أبو الفرج الأصفهاني أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ مع أصحابه بفخ، فقال**

يقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة.

الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص 366

9. ثورة محمد النفس الزكية عليه السلام

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الذَّات الْمُحَمَّدِيَّةِ اللَّطِيفَةِ الأحادية شَمْسِ سَمَاءِ الْأَسْرَارِ، وَمَظْهَرِ الْأَنْوَارِ، وَمَرْكَزِ مَدَارِ الْجَلَالِ ، وَقُطْبِ فلك الجمال ، اللَّهُمَّ بِسِرِّهِ لَدَيْكَ وَبِسَيْرِهِ إِلَيْكَ آمِنْ خوفي وأقل عَثْرَتِي وَأَذْهِبْ حُزْنِي وَحِرْصِي وَكُنْ لِي ، وَخُذْنِي إليك مني وَارْزُقْنِي الْفَنَاءَ عَنِّي وَلَا تَجْعَلْنِي مَفْتُونَاً بِنَفْسِي مَحْجُوباً بِحِسِّي ، وَاكْشِفْ لِي عَنْ كُلِّ سِرٍّ مَكْتُومٍ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.....

محمد النفس الزكية و بيعة العباسيين؟؟

كل ما بني على باطل فهو باطل .....

في حكمي الأمويين و العباسيين نجد هذه القاعدة صالحة تماما ، و في هذا النقاش المفتوح و الحر سنتطرق إلى صفحة أليمة من تاريخ "آل البيت عليهم السلام" و التي كان يتزعمها في تلك الآونة رجل من أشرف ذرية الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه و سلم ألا هو محمد ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي و فاطمة بنت النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

لقد لعب العباسيون كثيرا بعواطف الناس وحاولوا إقناع الناس بأن الهدف من دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت (عليهم السلام) الذين تعرّضوا للظلم والاضطهاد وأريقت دماؤهم في سبيل الحق، وركّز العباسيون بين صفوف دعاتهم بأن الهدف المركزي من دعوتهم هو رجوع الخلافة المغتصبة إلى أهلها، ولهذا تفاعل الناس مع شعار (الرضي من آل محمد) ووجدوا في هذا الشعار ضالّتهم، وكان يعتقد الدعاة أن هذه الدعوة تنبئ بظهور عهد جديد يضمن لهم حقوقهم كما عرفوه من عدالة علي عليه السلام

وقد حقق هذا الشعار نجاحاً باهراً خصوصاً في البلاد التي كانت قد لاقت البؤس والحرمان وكانت تترقب ظهور الحق على يد أهل بيت النبوة، وكانت ثقافتهم السياسية التي يروّج لها دعاتهم بين الناس تأتي على شكل تساؤلات، منها: «هل فيكم أحد يشك أن الله عزّ وجلّ بعث محمداً واصطفاه؟ فيقولون: لا ، فيقال: أفتشكّون أن الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله وحرامه وشرائعه؟ فيقولون: لا ، فيقال: أفتظنون خلفه عند غير عترته وأهل بيته ؟ فيقولون: لا، فيقال: أفتشوكن أن أهل البيت هم معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله الذي علمه الله؟ فيقال: لا

بهذه الإثارات العامّة التي لا تعيّن المصداق وتكتفي بالإيحاء وتتّكئ على الغموض حصلوا على مكاسب جماهيرية هائلة حتى من غير المسلمين. وكان هذا الأسلوب يشكّل سرقة لجهود الأئمة (عليهم السلام) حيث يوظّفونها لمصالحهم في الأوساط غير الواعية لطبيعة

و كان أسلوب العباسيين في هذه السياسية الخادعة ملتوي و متشعب و من بين الأساليب التي سلكها الدعاة العباسيون ونفذوا من خلالها إلى أوساط الأمة النبوءات الغيبية التي كانت تكشف عن أحداث المستقبل، وكان لهذا الأسلوب الماكر الأثر الكبير في كسب البسطاء واندفاع المتحمسين للدعوة وانضمامهم إليها اعتقاداً منهم بصحة ما يدعون إليه، ومن تلك الدعايات التي كانت تريد إضفاء الشرعية على دعوتهم هو زعمهم بأن لديهم كتباً تؤكد انتقال الخلافة إلى بني العباس لكن لا يجوز إخراجها وكشفها لكل الناس، وإنّما يطّلع عليها النقباء من خواصّهم ، وهذا الأسلوب كان قد زاد الدعاة تقديساً لدعوتهم كما أنها قد زادتهم اندفاعاً لها.....

و كذلك أسلوب أخر و ماكر ألا هو أسلوبا لم يكن مألوفاً من قبل وهو في غاية من الدهاء السياسي حيث استطاعوا بواسطته أن يكسبوا الجولة ويوظفوا الجهود والقناعات المختلفة نحو هدف واحد وهو أنّهم كانوا يتشدّدون في إخفاء اسم الخليفة الذي يدعون إليه، من هنا التزموا بكتمان أمره ووعدوا الناس بأنّ الخليفة لا يمكن إظهار اسمه إلا بعد زوال سلطان الأمويين حيث يعلق اسمه الذي تعرفه القوّاد والنقباء

ومن الأساليب التي استخدمها العباسيون في دعوتهم هو لبس السواد حيث كانوا يرمزون به إلى محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتألّم لأهل البيت (عليهم السلام) والشهداء الذين لحقوا بهم، وهكذا قامت الدعوة العباسية باسمهم للانتقام من الأمويين وتركيزاً لهذا الشعار الذي كان له وقع بالغ في النفوس أرسل إبراهيم الإمام لواءً يُدعى الظل أو السحاب على رمح طويل، طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وكتب إلى أبي مسلم: أني قد بعثت إليك براية النصر وقد تأوّلوا الظل أو السحاب فقالوا: إن السحاب يطبق الأرض وكما أن الأرض لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عبّاسي، وان ذلك يمثل لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنهم ذكروا أن لواءه في حروبه وغزواته كان أسود....

وبعد أن حقّق العباسيون بدهاء إبراهيم الإمام وأبيه من قبل وأنصاره في خراسان تقدماً مشهوداً وكثرت أنصارهم هناك وشكلوا مجاميع منظّمة تدعو لهم، وتأكدوا من نجاح أساليبهم في تضليل الناس وإنها قد ترسّخت في نفوس دعاتهم، حينئذ تحركوا خطوة نحو منافسيهم الحقيقيين وهم أهل البيت(عليهم السلام) فإنهم الذين كان العباسيون يخشونهم أشد خشية; لأن دعوتهم لم تحقق أي نجاح إلا بواسطة الشعارات التي كانت باسم أهل البيت (عليهم السلام) إذ حالة عزل الخط العلوي وتجاهله في بداية الأمر سوف تحبط مخططاتهم

بأجمعها، ومن هنا لجأ العباسيون إلى عقد اجتماع موسع يضم الطرف العباسي والعلوي بهدف احتواء الخط العلوي وزجّه في المعترك السياسي والإيحاء للجماهير الإسلامية بأن البيت العلوي وراء هذا النشاط الثوري ؟؟

وكان إبراهيم الإمام يعلم وعشيرته من بني العباس ، بأن الصادق(عليه السلام) يدرك جيداً على ماذا تسير الأمور وما هو الهدف من هذا التخطيط ، وليس بمقدورهم احتواء الإمام وتوظيف جهده وزجّه ضمن مخططهم وسوف لن يستجيب فيما لو دعي للحضور في الاجتماع المزمع عقده ، لذا عمدوا إلى شقّ الصفّ العلوي وإغراء آل الحسن بأن تكون الخلافة لهم، و في اجتماع" الأبواء" و الذي كان صوري بالإضافة إلى الهدف الذي ذكر أعلاه تهيئة الأجواء الودية وإشاعة روح المحبّة والوئام بينهم وبين العلويين وتطميناً لخواطرهم وعلى أقل تقدير جعلهم محايدين في هذا الصراع، ليتمّ لهم ما يهدفون إليه ويحشدوا ما استطاعوا من قوة لصالحهم.

من هنا اجتمعوا في منطقة الابواء، التي تقع بين مكة والمدينة ودعوا كبار العلويين والعباسيين، فحضر كل من إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور وصالح ابن علي وعبد الله بن الحسن وابناه محمد ذي النفس الزكية وإبراهيم وغيرهم

وقام صالح بن علي خطيباً فقال :قد علمتم أنكم الذين تمدّ الناس أعينهم إليهم ، وقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين ،ثم قام عبد الله بن الحسن فحمد الله واثنى عليه ثم قال : قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلمّوا، فقال أبو جعفر المنصور : لأي شيء تخدعون أنفسكم؟ والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أصور أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى يريد به محمد بن عبد الله ـ ، قالوا قد ـ والله ـ صدقت إن هذا لهو الذي نعلم ، فبايعوا جميعاً محمّداً، ومسح على يده كل من إبراهيم الإمام والسفّاح والمنصور وكل من حضر الاجتماع.....

وبعد أن أنهى مؤتمرهم أعماله بتعيين: محمد بن عبد الله بن الحسن خليفة للمسلمين، أرسلوا إلى الإمام الصادق عليه السلام فجاء الإمام وقال: «لماذا اجتمعتم ؟ قالوا: ان نبايع محمد بن عبد الله ، فهو المهدي، قال: لا تفعلوا فإنّ الأمر لم يأت بعد ، وهو ليس بالمهديّ، فقال عبد الله ـ رداً على الإمام (عليه السلام)ـ : يحملك على هذا الحسد لابني ...،فأجابه الإمام (عليه السلام) : والله لا يحملني ذلك ولكن هذا وإخوته وأبناءهم دونكم وضرب بيده على ظهر أبي العباس ، ثم قال لعبد الله : ما هي إليك ولا إلى ابنيك ، ولكنها لبني العباس ، وان ابنيك لمقتولان ، ثم نهض (عليه السلام) وقال : إنّ صاحب الرداء الأصفر يقصد بذلك أبا جعفر يقتله!!!

قال عبد العزيز: والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتله ، وانفضّ القوم، فقال أبو جعفر المنصور للإمام جعفر الصادق(عليه السلام) : تتمّ الخلافة لي ؟ فقال: نعم أقوله حقّاً

ثم أن محمد النفس الزكية الذي أجمع الخلق كلهم على تقواه و ورعه لم يعجبه "غدر و مكر المنصور " بنقض بيعته التي كانت في الأبواء فقاد ثورة ضد المنصور هو و أخيه ابراهيم و كانا يعدان العدة للخروج على أبي جعفر المنصور، وينتظران الفرصة للانقضاض عليه، واختفيا عن أنظار الخليفة يبثان رجالهما وينشران الدعوة، و بعد أن عجز المنصور على قبض محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم لجأ الى أسلوبه المعروف بالبطش و الوعد و الوعيد، فلجأ إلى القبض على عبد الله بن الحسن والد الزعيمين المختفيين و قبض أيضا على نفر من آل البيت، وبعث بهم مكبلين بالأغلال إلى الكوفة فشدد في التنكيل بآل الحسن مما دفع محمد النفس الزكية الى الظهور و كان الناس يميلون اليه لخلقه العظيم و زهده و حلمه حتى أطلقوا عليه اسم "النفس الزكية".....

و قد بعث المنصور بجيش كبير لملقات النفس الزكية يقوده عمه عيسى بن موسى فتمكن من هزيمة محمد النفس الزكية وقتله بالمدينة المنورة في14 من رمضان 145هـ-6 من ديسمبر 762م.

فرحم الله الرجل عظيم من آل البيت و أسكنه فصيح جناته أمين يا رب العالمين

*مصادر البحث

الكامل لابن الأثير: 362/5 -

. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، أسد حيدر: 309/2-

. الإمام الصادق والمذاهب الاربعة : 2 / 309 -

. الطبري : 9 / 82 -

. الطبري : 9 / 85والكامل لابن الاثير : 5 / 170-

. مقاتل الطالبيين : 256، واعلام الورى : 527/1، وكشف الغمة: 386/2-

-مقاتل الطالبيين : 256، الخرائج والجرائح : 2 / 765 ،

10.القاسم بن محمد النفس الزكية

القاسم بن محمد النفس الزكية بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني العلوي

مولده

ولد القاسم بن النفس الزكية على أرجح الاقوال في المدينة في يبت والداه محمد النفس الزكية أحد علماء آل أبي طالب في زمانه , وهو أكبر أبنائه

التحقيق في أمره

قلت :والى القاسم بن محمد النفس الزكيه يرجع نسب ملوك المغرب السعديين والعلويين ، وقد وقع خلاف حول وجود ابن لمحمد النفس الزكية يسمى القاسم ،فذهب جمع كبير من النسابين المتقدمين إلى القول بعدم وجود ابن للنفس الزكية اسمه القاسم وقالوا بوضع وسائط بين القاسم ومحمد النفس الزكية, بأن تزاد ثلاثة أسماء

وذهب كثير من ناسبوا ومؤرخو المغرب وبعض متأخري ناسبوا الحجاز والمشرق ، إلى القول بوجود ابن للنفس الزكية اسمه القاسم

قلت : العلم لا يقبل الجمود فعلم البشر سمته النقص ، وكم ترك الاول للأخر ،

قال العلامة النسابة عبدالسلام القادري في الدر السني : واما بنو النفس الزكية رضي الله عنهم فمنهم بفاس بعض شرفاء سجلماسة المدعوة بتافيلات ، وهم صرحاء الاشراف نسبا، وافضلهم حسبا، وقال الناصري في الاستقصاء عن نسب الدولة العلوية : اعلم أن نسب هذه الدولة الشريفة العلوية من أصرح الأنساب ، وقال ايضا بعد ذكر نسبهم إلى القاسم المذكور هكذا ذكر هذا النسب ،الذي هو حقيق بأن يسمى سلسلة الذهب ،جماعة من العلماء كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي ، والشيخ أبي عبدالله محمد العربي بن يوسف الفاسي ، والعلامة الشريف أبي محمد عبدالسلام القادري ، وغيرهم.

قلت: نسب الاشراف السعديون والعلويون معروف عند الكافة وتلقاه فضلاء عصرهم بالقبول وأثبتوهم في كتبهم ومشجراتهم ، اما التحقيق في وجود القاسم فقد ذكره الكثير من المؤرخين والنسابون ، منهم المؤرخ أحمد بن سهل الرازي المتوفي في الربع الأول من القرن الرابع قال في كتابه أخبار فخ :ثم خرج يحي وإدريس من الحبشة ،فقدما فرع المسور ليلاً ،فأقاما به زمناً يتشاوران إلى أين يخرجان وأي بلد يحملهم ويخفيهم وشملهم من

الخوف ، مثل ما كان عرف وتناهى إليهم خبر علي بن إبراهيم, وإبراهيم بن إسماعيل ، والقاسم بن محمد بن عبدالله بن حسن ، وموسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ؛ وقال في موضع اخر : لما كان من أمر الحسين رحمه الله بفخ ما كان أحضر موسى الهادي موسى بن عبدالله بن الحسن ،والقاسم بن محمد بن عبدالله.

وقال أبوعبدالله الحسين الديار بكري صاحب تاريخ الخميس المتوفي سنة 966هـ كما ذكر صاحب كتاب المطالع محمد الزكي الحسني العلوي: توفى القاسم بن محمد النفس الزكية في حياة أبيه وجده ،وترك زوجه حاملاً بابنه إسماعيل ، فلما وضعته تزوج بها أخوه عبدالله الأشتر ، وكفل ابن أخيه إسماعيل ،فلما وقع ما وقع بالإمام محمد وفر ولده عبدالله لبلاد السند وحمل معه ابن أخيه إسماعيل مع أمه ، ولما وقع ما وقع بعبدالله حين قام ببلاد كابل وقتل و فر إسماعيل فيمن فر ورجع إلى الينبع واستوطنه.

قلت والقاعدة أن المعتمد الذاكر لا التارك فيما ترك ، والقاسم ثابت بالتحقيق والتدقيق ولا التفاف لمن قال لا جود له والصواب ان يزاد بين القاسم ومحمد النفس الزكية والحمد لله

وفاته: وقع خلاف حول تاريخ وفاة القاسم بن النفس الزكيه ,فقد ذكر المؤرخ أحمد بن سهل الرازي في أخبار فخ ان وفاته كانت مدة خلافة الخليفة العباسي موسى الهادي الذي بويع له سنة 169 هـ واستمرت الى سنة170 هـ ,حيث قال في مقتله :وكان أمرهم كما أخبرني محمد بن يوسف بن إبراهيم بن موسى عن أبيه , قال :لما كان أمر الحسين رحمه الله بفخ ما كان ،أحضر موسى الهادي موسى بن عبدالله بن الحسن ،والقاسم بن محمد بن عبدالله ، وقال للقاسم : والله لأقتلنك يا ابن الفاعلة قتله ما قتلها احد قبلي احداً قبلك ، قال له القاسم : الفاعلة هي الصنّاجة التي اشتريت بأموال المسلمين ،أإياي تهددني بالقتل الذي لم يسبقك إليه ظالم ؟

فلأصبرن لك صبراً ما صبره أحد قبلي لمرضات الله وجميل ثوابه ، فأمر موسى بالمناشير فأحضرت ثم أقيم على كل عضو منه منشار فنشر وجهه صفحة واحدة ثم نشروه عضواً عضواً حتى أتوا على جميع بدنه ، قالوا جميعاً: فما تأوه رحمه الله ولا تحرك حتى جردوا عظامه عن لحمه، وفرقوا بين جميع أعضائه .

فقال له موسى : كيف رأيت يابن الفاعلة ؟ فقال له القاسم : يا مسكين لو رأيت ما أرى من الذي أكرمني الله به في دار المقامة وما أعد لك من العذاب في دار الهوان لرأيت حسرة دائمة وتثبت النقمة العاجلة ؛ وخرجت نفس القاسم مع آخر كلامه ، وقال الديار بكري نقلاً عن المطالع للعلوي وغيره ، ان وفاته كانت في حياة أبيه الذي قتل في خلافة أبو جعفر المنصور سنة 145ه.

قلت الراجح في وفاته انها كانت في مدة خلافة موسى الهادي في حدود سنة 169هـ , وهي السنة التي قتل فيها جماعة من الطالبيين ،وهو الذي قال به ابن سهل الرازي , واما اختفائه وانقطاع خبره فكان في حياة أبيه فظن من ظن انه مات في حياة أبيه والله العالم.

أعقابه

أعقب القاسم بن النفس الزكية من ولده إسماعيل الذي أعقب رجلين هما: احمد بن إسماعيل ومن عقبه ،محمد بن أبوالقاسم بن محمد بن عبدالله بن عبدالله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد المذكور ,واعقب محمد بن أبو القاسم من ولديه أحمد الذي أعقب زيدان جد الملوك السعديون ,والقاسم الذي أعقب الحسن الداخل جد الملوك العلويون ، وإما إبراهيم بن إسماعيل لاتعرف له أعقاب اليوم والله العالم .

*المصادر

- **ابن سهل الرازي : أخبار فخ ،ص 158 ،159**
- **السيوطي : تاريخ الخلفاء ,ص 331**
- **ابن دقماق : الجوهر الثمين , ص110**
- **الناصري : الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى ج3/3**
- **ابن زيدان العلوي : المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ،39-42**
- **الفضيلي : الدرر البهية والجواهر النبوية ،ص79 -80**
- **المشرفي : الحلل البهية ، ص206-207**
- **الشباني الادريسي : مصابيح البشرية ص304 .**

11.الإمام إدريس ابن عبد الله و الفتح المغربي

لقد كان أول قادم إلى بلاد المغرب من ذرية الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله وسلم والإمام علي و السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليهم هو الإمام إدريس الأكبر بن

عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد عليه أفضل الصلاة و التسليم، وذلك بإجماع المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ المغرب بعد ظهور السلام.

وقد كان وصول سيدنا إدريس إلى إفريقيا عبر البحر الأحمر بعد ما نجه الله تعالى من موقعة فخ الدامية التي جرت يوم الثامن من ذي الحجة 169 هجرية الموافق ليوم 10 جوان 786ميلادية، و التي ترتبت على انتفاضة البيت العلوي ضد الحكم الجائر للخليفة العباسي موسى الهادي، والتي شهدتها مكة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، و تعتبر هذه المأساة بمثابة "كربلاء ثانية" حيث استشهد فيها أكثر من مئة شهيد من البيت العلوي الطاهر رحمهم الله أجمعين.

لحق إدريس بن عبد الله بالمغرب الأقصى هو ومولاه وأخيه من الرضاعة راشد بن مرشد، فنزل بمدينة وليلي سنة اثنتين وسبعين ومائة، وبها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة من البربر البرانس فأجاره وأكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته، وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع في ذلك.

فكانت الظروف ممهدة لزعامة سياسية في المغرب الأقصى ، تمكن القبائل الصنهاجية و المصمودية المتمسكة بالسنة من التخلص من سلطان البرغواطيين، حيث كان شيوخ أوربة مستعدين لتأييد قائد وزعيم يخلصهم من طغيان هؤلاء، وينشئ لهم دولة وكيانا سياسيا على أسس الإسلام القويم، لذلك لم تجد دعوة إدريس بن عبد الله هذه صعوبة كبيرة في الانتشار والتوسع في أوساط القبائل البربرية.

ثم إن الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في القسم الشمالي من المغرب الأقصى تدل على أن اختيار إدريس الأول ومولاه راشد لبلاد المغرب الأقصى لم يكن أمرا اتفاقيا، وإنما كان اختيارا استراتيجيا وسياسيا مدروسا، ذلك أن اختيار إدريس الأول لمدينة وليلي كمنطلق لدعوته، يستند إلى أكثر من منطق واقعي، فمن جهة كانت وليلي وقتئذ مركزا وملتقى تجاريا لمختلف القبائل البربرية، كما كانت قبيلة أوربة تتزعم مجموعة كبيرة من القبائل يتسع نطاقها من الأطلس الأوسط إلى وادي سبو.....

هذه العوامل منحت المنطقة أن تكون أصلح ما تكون كمركز لدعوة سياسية، وحين حل إدريس بالمغرب، اتخذ مدينة وليلي منطلقا لدعوته، فدعا عبد الحميد عشيرته أوربة وهي أكبر عشائر البربر ليعته، فكانوا أول من بايعه يوم الجمعة 4 رمضان 172هـ، الموافق ل06فيفري789م وتلقب بـ"أمير المؤمنين".

وخطب الناس يوم بويع في خطبة دونها التاريخ إلى يومنا هذا و من جملة ما حاء فيها:

" بعد أن حمد الله و أثنى عليه و صلى على جده المصطفى صلى الله عليه و آ له و سلم والصلاة على نبيه "لا تمدن الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه عندنا من الحق لا تجدونه عند غيرنا".

وتحدثنا المصادر التاريخية عن هذه البيعة التاريخية الأولى بالمغرب، التي بايع المغاربة بموجبها إدريس الأول سنة 172هـ ملكا لهم. وكيف أنها كانت بداية عهد جديد للإسلام والمسلمين في الغرب الإسلامي، ومن هؤلاء المؤرخين نذكر "ابن أبي زرع" في كتابه "روض القرطاس" إذ يقول عن هذه البيعة ما يلي: "بويع إدريس بن عبد الله بمدينة وليلي يوم الجمعة من شهر رمضان المعظم سنة 172هـ وكان أول من بايعه قبائل أوربة.

بايعوه على الإمارة، والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزواتهم وأحكامهم، ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف البربر من أهل المغرب، ومنهم زواغة، وزواوة، ولماتة، وصدراتة، وغياتة، وتفزة، ومكناسة، وغمارة إلى أن تتابعت الوفود من الأقاليم الصحراوية.
و مما حفظه لنا التاريخ بيان مولانا إدريس حين أعلن دعوته إلى المغاربة، ومما جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عانده، ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخيرته من خلقه وآله الطيبين، أما بعد: فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، والى العدل في الرعية والقسم بالسوية ورفع المظالم والأخذ بيد المظلوم وإحياء السنة وإماتة البدع وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد.

اعلموا يا معاشر البربر أني أتيتكم وأنا المظلوم الملهوف الطريد الشريد الخائف الموتور الذي كثر واطره وقل ناصره وقتل إخوته وأبوه وجده وأهلوه، فأجيبوا داعي الله عز وجل إذ يقول:" ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه من أولياء أولئك في ضلال مبين" ، أعاذنا الله وإياكم من الضلال وهدانا إلى سبيل الرشاد، وأنا إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عمّ رسول الله(صلى الله عليه وآله).

هذه دعوتي العادلة غير الجائرة فمن أجابني فله مالي وعليه ما عليَّ، ومن أبى فحظه أخطأ وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة، إني لم أسفك دماً ولا استحللت محرماً ولا مالاً وأستشهدك يا أكبر الشاهدين وأستشهد جبريل وميكائيل إني أول من أجاب وأناب، فلبيك اللهم لبيك مزجي الجبال سرابا بعد أن كانت صماً صلاباً، وأسألك النصر لولد نبيك إنك على كل شيء قادر وصلى الله على محمد وآله وسلم."

من هذا البيان نستشف الأسس والركائز الدينية التي استندت عليها الدعوة الإدريسية، وخاصة مناداتها للعودة إلى المنابع الإسلامية الصحيحة والتمسك بالسنة، ومحاربة البدع ومختلف الانحرافات التي قد تظهر، إن هذا المنطلق الديني بات مؤشرا على نجاح هذا المشروع السياسي، فراح إدريس يضع اللبنات الأولى لكيان دولته الجديدة ، ففي عهد

إدريس الأول انتظم للدولة جيش كثيف وقوي أخضع من حوله من بلاد المغرب الأقصى الكثير، ونشر الإسلام بين القبائل التي كانت لا تزال على المجوسية أو اليهودية أو المسيحية مثل قندلاوة وبهلوانة ومديونة ،ثم تقدم فأخضع تلمسان في المغرب الأوسط، وبهذا تمكن أمره واستقر حكمه وأرسى قواعد الدولة الفتية، ونجح في أن يقيم ملكاً وطيداً دعامته العدل وإنصاف الناس.

مع تعاظم قوة الدولة الإدريسية ومع توالي الانتصارات والنجاحات، أدرك هارون الرشيد الخليفة العباسي مدى الخطورة التي قد يشكلها هذا النجاح الذي حققه إدريس الأول، فدبر مؤامرة لاغتياله عبر الشقي و المدعو "سليمان بن جرير" من الشرق وذلك بواسطة قارورة من المسك مسمومة ، ولم يزل يجد السير حتى وصل إليه وفرح به ثم دفع له القارورة المسمومة فشمها رضي الله عنه فطلع السم في خياشيمه فمات رحمة الله عليه عام 177 هجرية-793م.

بعد وفاة الإمام إدريس بن عبد الله الكامل رضي الله عنه و بعد أربعة اشهر حسب معظم المصادر وضعت زوجته "كنزة" حملها بعد تمامه وسمت المولود الجديد على أسم أبيه ادريس وقام به وزراء أبيه وتكفل به راشد بن مرشد القرشي حتى إذا بلغ ثمانية أعوام وقيل اثنتي عشرة سنة وبلغ الحلم وقرأ جميع العلوم ثم زوجته أمه "كنزة" من الحسنى بنت سليمان بن محمد النجاعي وكانت أمه كاملة العقل والحياء والدين تابعة للكتاب والسنة.

و لقد شهد المغرب في عهد إدريس بن إدريس سنة188 هـ/804م نوعا من الازدهار والاستقرار، ومع توافد القبائل العربية من القيروان والأندلس إلى وليلى، قرر إدريس الثاني بناء مدينة فاس لتكون عاصمة للدولة الإدريسية وذلك سنة 192هـ/808م، وفعلا فقد تم له ذلك بفضل الله و أصبحت مدينة فاس ملاذ الخائفين، فقد أصبحت فعلاً كعبة القاصدين ولا سيما من الأشراف، أو السادة كما يسمونهم بالمشرق، بمن تشملهم كلمة الأشراف أو الشرفاء من أُسر عديدة فيها الحسنيون وفيها الحسينيون.

سار الإمام إدريس بن إدريس على نهج والده العسكري، فقاد حملتين، الأولى تجاه بلاد المصامدة، والثانية إلى تلمسان. وقد حقق نجاحات تلو النجاحات إلى أن توفي سنة 213هـ/828م، ولئن ذكر روض القرطاس أن سبب موته هو أنه شرق بحبة عنب، فإن مصادر أخرى مثل البكري وابن عذاري تذكر أنه مات مسموما ، بل إن ابن الأبار يؤكد أن "زيادة الله احتال عليه حتى اغتاله " الحلة السيراء.

إدريس بن إدريس مدفون في زرهون بإزاء أبيه إدريس بن عبدا لله في وليلي وأما القبر الذي بفاس في مسجد الشرفاء فهو قبر السيد محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر رضي الله عنهم أجمعين.

و قد قال الإمام الرضا بن موسى الكاظم (عليهم السلام) في حقه:

إدريس بن إدريس بن عبدا لله من شجعان أهل البيت والله ما ترك فينا مثله.
وقال أبو هاشم داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدا لله بن جعفر الطيار:
أنشدني إدريس بن إدريس لنفسه شعرا:

لو مال صبري بصبر الناس كلهم لكل في روعتي وظل في جزعي
بان الأحبة واستبدلت بعدهم هما مقيما وسلما غير مجتمع
كأنني حين يجري الهم ذكرهم على ضميري مجبول على الفزع
تأوى الهموم إذا حركت ذكرهم إلى جوارح جسم دائم الجزع.

تولى الإمام محمد بن إدريس بعد وفاة والده إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط سلام عليهم أجمعين وبقى بنوه بفاس متوارثين الملك بعده وقسم على إخوته البلاد برأي جدته كنزة بنت عبد المجيد الأوربي فأعطى:

عمران جبل الريف وبادس وأحوازهما
وأعطى عمر رجس واحواز
وأعطى لأبي القاسم سبتة وطنجة واحوازهما
وأعطى لأحمد الهبط
وأعطى لعيسى سلا وأحوازه
وأعطى لعبد الله قشتاله وتادلة واحوازهما
وأعطى ليحيى غماة واحوازها
وأعطى لداود تلمسان و احوزها

وأعطى لأحمد الملقب بكثير مالقة وغرناطة وطرفا من جبل الفتح
وأعطى لعلي سجلماسة واحوازها هؤلاء هم ساداتنا الأشراف الادارسة كل واحد منهم في إمارة وانتسل بها وترك ذريته هناك.

و جراء هذا التقسيم الذي يرى فيه بعض المؤرخين تأثير سلبي على وحدة البلاد حيث قامت صرعات داخلية بين الإخوة منذ 932 م، فكانت فرصة لحكام الأندلس الأمويين الذين استغلوا هذه الانقسامات، فقاموا مرات عدة بشن حملات في المغرب لإبعاد الأدارسة عن السلطة إلى أن وقعت الدولة الإدريسية تحت سلطة الأمويين ، فتوزع سلطان الأدارسة بين الفاطميين والأمويين بالأندلس، فالقسم الشرقي من مراكش سقط في أيدي الفاطميين، والغربي في أيدي الأمويين.

رغم هذا فان شعلة التمدن الحضاري الذي انطوت تحت لوائه الدولة الادريسية أدى إلى أن يقع هناك اندماج حقيقي خصوصا بين الأدارسة والقبائل البربرية، حيث يؤكد غير واحد من المؤرخين والمؤلفين حصول اندماج حقيقي بين أعقاب إدريس الأول والقبائل البربرية، وإلى هؤلاء يرجع الفضل في نشر الدين الإسلامي.

رغم هذا كله، ظلت الحركة العلمية في عهد الدولة الإدريسية ضعيفة نظرا لتعثر انتشار واستقرار الإسلام بجميع الربوع المغربية، حيث كانت تنتشر بتلك الربوع الكثير من الفرق الضالة عن عقيدة أهل السنة والجماعة كالمعتزلة والخوارج وغيرها، الأمر الذي جعل أكثر جهود الدولة الإدريسية تتجه لنشر الإسلام وتوسيع مداه ومحاربة هذه الفرق.

كما كان لعدم تمركز اللغة العربية وبطء انتشارها بين المغاربة أثر سلبي على الحركة العلمية بالرغم من محاولات الأدارسة خاصة في دولتهم الأولى تعريب الأمة المغربية بتعريب أجهزتها الإدارية، أضف إلى ذلك قلة الوافدين على المغرب الأقصى من المشرق، سيما وأن غالبية هؤلاء من الوافدين من العلماء والأدباء كانوا يتخذون المنطقة نقطة عبور، لا غير، إلى الضفة الأخرى.

بقي ان المشروع السياسي للدولة الإدريسية كان يحمل في طياته عوامل ضعف ومكامن نقص عجلت في انهياره، ويتجلى ذلك بالخصوص في سببين:

أولهما: أن الدعوة الإدريسية ظلت محصورة بين الصحراء والمحيط والأمويين في الأندلس ثم الأغالبة في إفريقية.

ثانيهما: هو أنها كانت تعتمد على البربر وهم متقلبون في مواقفهم، بل إن استراتيجية الدولة نفسها كانت متقلبة، خاضعة لأهواء هؤلاء، تميل مع مصالحهم أينما مالت حفاظا على بقائها واستقرارها.

وهكذا كانت نهاية الدولة الإدريسية على يد الفاطميين سنة 364هـ975 /م بعد أن عاشت ما يقرب من قرنين من الزمان، وأدت دورًا حضاريّا كبيرا في المغرب الإسلامي، إذ انتشر بهم الإسلام في المغرب بين البربر، وأسّسوا جامع القرويين الذي كان منارة للثقافة الإسلامية، وأسهمت إلى حد بعيد في تبديل الصورة النمطية القبلية التي كانت تعيشها المنطقة إلى نظام حضاري سيسهم في نشر الإسلام والثقافة العربية.

ومن الملاحظ أن الأشراف بالمغرب الأقصى و الأوسط حينئذ وخاصة منهم الأدارسة الأوائل تعرضوا لمحنة كبرى أواخر الدولة الإدريسية بسبب تصميمهم على أن يحتفظوا باستقلال بلادهم ضد أطماع الأمويين بالأندلس فيهم وضد أطماع بعض الزعماء المحليين الذين كانوا يعملون لحساب جهات خارج المغرب.

فلقد ظلوا ولفترة قرن كامل يقاومون ويناضلون، وقد مرت بهم فترة من الفتراتِ الحاكمةِ كانوا يضطرون فيها للهجرة إلى الصحاري والجبال، بل يضطرون إلى تغيير أنسابهم وأسماءهم حتى يفلتوا من القتل والسفك، وما بطش اللعين " موسى ابن أبى العافية" بغائب عن أسماع كل المغاربة بل وعن المهتمين بتاريخ الغرب الإسلامي كله ، بالرغم من كل هذا تبقى تجربة الإمامة أوالدولة الإدريسية تجربة سياسية ذات رسالة كبرى في سلسلة تجارب الحكم في التاريخ الإسلامي العريق.....

*مبادرة طيبة من الكاتب

اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد

***<u>الموضوع:</u> وثائقي حول مسيرة المولى سيدنا إدريس ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام.....**

***الشخصيات المهمة: سيدنا إدريس ومولاه راشد بن مرشد**

الزمان: 08 ذو الحجة 169ه-11يونيو 786 م –تاريخ واقعة فخ

***المكان: فخ- مكة المكرمة أرض الحجاز**

***المسافة المقطوعة بين فخ الى زرهون قرب مكناس بالمغرب الأقصى: 6089.07 كلم**

***المدة المستغرقة: حوالي سنتين**

***الأمصار والبلدان الذين مرعليهم سيدنا إدريس: مكة المكرمة- ميناء ينبع إلى بلاد النوبة-القاهرة بمصر-برقة بليبيا –القيروان بتونس- تلمسان بالجزائر - زرهون بالمغرب- الوصول: يوم 01 ربيع الأول 172 هـ / 9 آب-أوت 788م.**

***بيعة سيدنا إدريس: بمدينة وليلي يوم الجمعة 4 رمضان 172 هـ / 6 شباط –فيفري 789م.**

إن التاريخ بصفة عامة و التاريخ الإسلامي بصفة خاصة يحتقن بقصص جنودٍ ورجال مجهولين قامت على أكتافهم وبتضحياتهم دول وأمم، وزال غيرُها، ولم يحصل أكثر هؤلاء على نصيبٍ وافٍ من التقدير والامتنان يوازي حجم أفعالهم وتأثيرهم، وها هي كتب التاريخ الإسلامي تخبرنا أنَّ دولة الأدارسة التي نشأت في المغرب الإسلامي عام 172هـ، تُعتبر أول دولة كبيرة مستقرة تنتسب إلى آل بيت الرسول عليه واله الصلاة والسلام من فرع الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وهي تحمل اسم أحد أشهر أئمة آل البيت في تاريخ السياسة، وهو الإمام إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب و فاطمة الزهراء عليهم الصلاة و السلام اجمعين.

لم يتمكَّن الإمام إدريس من تأسيس تلك الدولة التي خلَّدت اسمَه في كتب التاريخ، إلا بعد أن مرَّ برحلة هروبٍ دراماتيكية، كان يمكن أن يفقد فيها رأسَه في أية مرحلةٍ، لولا أن قُيِّضَ له رفيقٌ استثنائي في تلك الرحلة، هو خادمه الأمين راشد بن مرشد والذي رافقه في تلك الرحلة، وخاض معه أهوالَها، وحفظ دولة مولاه إدريس في أوقاتٍ عصيبة جدا.

لقد شهد يوم التروية 8 ذي الحجة من عام 169هـ موقعة مأساوية غير متكافئة، دارت رحاها في منطقة فخّ قرب مكة المكرمة، بين قوات الدولة العباسية المتفوقة عددًا وعدة وبطشًا، وقوات أحد ثوار آل البيت عليهم السلام وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام والذي خرج ثأرًا لمظالم ومقاتل آل البيت في عهد أولاد عمومتهم العباسيين، الذين استأثروا بالثروة والسلطة، وبطشوا بخصومهم بلا رحمة ولا هوادة ، ولم يحمِل الحسين بن علي المذكور فحسب اسم عم أجداده الحسين بن علي شهيد كربلاء عليه السلام عام 61هـ، إنما حمل مصيره أيضًا، فكانت وقعة فخ بمثابة كربلاء جديدة لآل البيت وأنصارهم، استُشهد خلالها أكثر من مائة منهم، على رأسهم الحسين قائد الثورة، على مرأى ومسمع من آلاف الحجاج الذين تعمَّد الحسين الثورة في موسم حجهم، لعلّه يجد لدعوته أنصارًا كثر.

نجح بعض الثوار الباقين في الفرار من ساحة المقتلة، والاندساس بين قوافل الحجاج، فكانوا أكثر حظًا من آخرين اعتُقلوا، ونفذت فيهم السلطات العباسية حكم الإعدام ، كان إدريس بن عبد الله أبرز هؤلاء الذين نجوا بصعوبة وفرُّوا من الحجاز في ذلك الوقت العصيب، مندسًّا في قوافل حجاج مصر والمغرب القافلة إلى بلادها، وكان يصحبه ويرعى شؤونه مولاه راشد، الذي أظهر ذكاء كبيرًا في تلك الأوقات التي ترنح فيها مصيرهما على حافة الحياة والموت.

لم تخلُ الرحلة العصيبة من طرائف، كان أبرزها أن إدريس وراشد تبادلا المواقع، فكان إدريس يتقمَّص دورَ الخادم الذي يرعى شؤون سيده راشد، وذلك إمعانًا في التعمية على

من حولَهما وهكذا على خُطى رحلة هروب صقر قريش عبد الرحمن الداخل الأموي من بطش العباسيين عام 132هـ إلى المغرب البعيد رفقة خادمٍ وفي هو بدر، اتَّخذ إدريس العلوي نفس خط السير إلى مصر أولًا ومنها إلى المغرب الأقصى بعيدًا عن القبضة العباسية، رفقة خادمٍ أمين أيضًا، هو راشد بن مرشد.

كانت المحطة الأهم في رحلة النجاة هي مصر حيث اختلفت لمصادر التاريخية في تفاصيل ما حدث للرجليْن في مصر، لكن أرجح سيناريو أنهما توصَّلا إلى أحد موالي بني العباس في مصر، وكان اسمه الفتى واضح، وهو مولى لصالح بن أبي جعفر المنصور، كان واضح متعاطفًا مع آل البيت العلوي ويخفي هذا خوفًا من العباسيين، فاحتفى بالإمام إدريس وقرَّر مساعدة الرجليْن في رحلتهما المغاربية.

ينقل ابن خالد الناصري في كتاب" الاستقصاء في معرفة دول المغرب الأقصا" رواية تاريخية تذكر أن اللاجئيْن قد قابلا الفتى واضح بالمصادفة البحتة، حيث لفت أنظارهما جمال داره قبل أن يعرفا صاحبها، فوقفا يتأملانها، فرآهُما، وعرفَ أنهما غريبان، وتحدَّث معهما، ورجَّح خلال كلامه معهما أنهما من الحجاز من هيئتهما و توسّم راشد خيرًا في الرجل، فقام بمخاطرةٍ محسوبة وغير محسوبة في آن، وصارحَ بحقيقة حالهما بعد أن جعله يقسم إن حكى له أن يساعدهما أو يتركهما آمنين، فتهلَّل واضح، وأخبر راشد أنه من شيعة آل بيت المصطفى صلى الله عليه وأله وسلم وأنه سيساعدُهما بكل ما أُوتيَ من قوة.

ولحسن حظ إدريس وراشد، كان واضح هو مسئول قوافل البريد المنطلقة من مصر، فأخفى الرجليْن، وأرسلهما مع القافلة المتجهة إلى المغرب، وحرصًا من واضح على سلامة الإمام إدريس، فإن في المراحل الأولى من الطريق التي تكثر فيها الكمائن الأمنية على الطريق، اصطحب إدريس بنفسه ليتمكن من تجاوزها دون تفتيش قد يكشف حقيقته، وسلك به في بعض المناطق بعض الطرق غير المألوفة، أما راشد فكان بمفرده في قافلة البريد، ثم اجتمع إدريس براشد قرب تونس، وأكملا رحلتهما غربًا منفصلين عن قافلة البريد.

وفي الطريق من القيروان بتونس إلى المغرب، عاد راشد إلى طريقة تبادل الأدوار، وألبس الإمام إدريس زيًا من الصوف الخشن، وأخذ يبالغ في الاشتداد عليه أمرًا ونهيًا أمام الناس، ليقتنعوا تمامًا أنه مجرد خادمٍ، وليس أخطر رجلٍ وطأت قدماه أرض المغرب منذ عبد الرحمن الداخل الذي عبر إلى الأندلس.

وصل الإمام إدريس وراشد إلى تلمسان غربي الجزائر الحالية، ثم إلى طنجة المغربية، لكنَّهما لم يجدا في المدينتيْن بيئةً خصبة للإعلان عن دعوة آل البيت، فاتَّجها إلى مدينة وليلي المغربية عام 172هـ، أي بعد ثلاث سنوات كاملة من مأساة فخ، وتقع تلك المدينة في منطقة جبلية تُعرف بجبل زرهون، والتي يقع فيها الآن مدينة سياحية مغربية تُسمَّى "مولاي إدريس زرهون" والتي تضم ضريح الإمام إدريس الأول عليه السلام.

كانت وليلي مدينة حصينة، وغنية بالمياه والزروع المختلفة، وكان حاكم تلك المدينة من البربر واسمه إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوروبي ، فلما عرَّفه إدريس بنفسه، تعاطفَ معه كثيرًا، ووعد بنصرته، وبعد بضعة أشهر، دعا حاكم المدينة سكانَها من البربر إلى بيعة إدريس إمامًا، وخلع البيعة للدولة العباسية، فانسابوا مبايعين أفرادًا وجماعات، وكان البربر قد ضاقوا ذرعًا بالحكومات الاستبدادية الأموية والعباسية المتتابعة، وتوسَّموا في الإمام إدريس أن يقيمَ العدل، فبايعتْهُ قبائل بربرية كبرى مثل أوربة ومغيلة وصُدينة، ثم زناتة ومكناسة ،وبعد أن تلقى الإمام إدريس بيعة أنصاره الأوائل خطب فيهم خطبة مختصرة معبرة بتاريخ 04 رمضان 172ه قائلا: "

وبعد حمد الله والصلاة على نبيه وآله قال:

" أيها الناس لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه عندنا من الحق، ولا تجدونه عند غيرنا".....

وكانت هذه الخطبة تفصح على إيجازها عن أهداف الإمام إدريس الذي يرى الخلافة في آل البيت حقًا، ولما انتشر نبأ مبايعة الإمام إدريس في وليلي وفدت عليه مبايعة قبائل وكافة البربر في المغرب الأقصى، وبعد أن بايعته هذه الجموع الغفيرة انطلق يجاهد لنشر الإسلام ومحاربة البدع الخارجية فجسد جيشًا من البربر وخرج غازيًا بلاد تامسنا، ففتح أولاً مدينة شالة ثم أتبعها بسائر البلاد وحصونها ، ثم سار إلى بلاد تادلا ففتحها وبلغ ماسة ، وكان أكثر سكان هذه المناطق يدينون باليهودية والنصرانية والمجوسية والإسلام بها قليل فنشره في ربوعهم ، ثم أتم معركة الجهاد الأولى بنجاح عاد الإمام إدريس إلى قاعدته وليلي في ذي الحجة من العام نفسه.

وتشير كثير من المصادر التاريخية أن الفتى واضح، قد تم اعدامه من طرف الخليفة العباسي هارون الرشيد بعد أن انتشرت أنباء قيام دولة الإمام إدريس في المغرب، وانكشاف تفاصيل المساعدة الجوهرية التي قدَّمها واضح في سبيل ذلك بتهريبه من مصر وظلَّ راشد إلى جوار الإمام إدريس يلازمه ليلَ نهار، ويحوطه إحاطة السوار بالمعصم، خوفًا عليه من الاغتيال والمكائد، لكن مضت أقدار الله على إدريس رغم كل ما كان يفعله راشد.

و في عام 172 و 173هـ، شنَّ الإمام إدريس غزواتٍ قوية ضد القبائل البربرية الأخرى غير المسلمة، وانتصر عليها انتصاراتٍ كُبرى، ووطَّدَ دولته في المغرب الأقصى ، ثم في النصف الثاني من عام 173هـ، اتجَّه إدريس الظافر إلى الشرق، وحاصر تلمسان، حاضرة المغرب الأوسط، فاستسلمت المدينة، وبايعتْه، وقد ذاعت أخبار هذا الانتصار الخطير

في كافة أرجاء العالم الإسلامي، وأثارت قلق هارون الرشيد العباسي في بغداد، والذي خشي أن يقوى أمر إدريس، ويطمع في التمدد شرقًا أكثر فأكثر وصولًا إلى القيروان فطرابلس فمصر، ومن ثمَّ، يشكل تهديدًا جذريًا للخلافة العباسية نفسها، فعقد الرشيد اجتماعًا طارئًا لبحث أمر دولة إدريس مع كبار رجال البلاط العباسي، وفي مقدمتهم الوزير يحيى البرمكي الداهية، والذي اقترح على الرشيد أن يرسل من يغتال إدريس، لأن إرسال جيش كبير يقطع كل تلك المسافة، ليس حلًا عمليًا.

وفعلا ارسلَ الرشيد رجلًا يسمى سليمان الشمَّاخ، والذي نجح في اختراق الدولة الإدريسية الناشئة، إذ أظهر أنه منشق عن العباسيين، وكان خطيبًا مُفوَّهًا، ظلَّ لأشهر يدعو بدعوة الإمام إدريس، ويدافع عن آل البيت، ويتحدث عن مظالمهم، مما أكسبه ثقة إدريس، وارتفعت مكانته لديْه كثيرًا، حتى أصبح في أقرب الدوائر إليه. استغلَّ الشمَّاخ انشغال راشد في أحد الأيام، وأهدى للإمام إدريس عطرًا مسمومًا وقيلَ سواك مسموم فأصيب بما يشبه الغيبوبة، ثم تُوفيّ بعد يومٍ واحد، بينما فرَّ الشمَّاخ إلى سيده ببغداد لينال الجائزة، وعندما علم راشد بالخبر المفجع، وباختفاء الشمَّاخ، طارده مع بعض الفرسان، وكادوا يتقبَّضون عليه، لكنه فرَّ بأعجوبةٍ مُصابًا بيدٍ واحدة لقوة فرسه و عاد راشد إلى حاضرة الأدارسة وليلي، وأشرف على تكفين الإمام ودفنه، ثم جمع قادة البربر الموالين للدولة الإدريسية لبحث أمر الحكم بعد اغتيال الإمام، وكانت هذه الأحداث عام 177ه.

"أَيهَا الشَّيْخ الْمُبَارك، مَا لنا رَأْي إِلَّا مَا رَأَيْت فَإِنَّك عندنَا عوضٌ من إِدْرِيس، تقوم بأمورنا كَمَا كَانَ إِدْرِيس يقوم بهَا، وَتصلي بِنَا، وتقضي بَيْننَا بِكِتَاب الله وَسنة رَسُوله"

هكذا كان رد قادة البربر مخاطبين راشد بعد اغتيال الإمام إدريس عليه السلام.

وافق زعماء البربر على اقتراح راشد بانتظار أن تضع زوجة الإمام "كنزة" التي تسرَّى بها حملَها، فإن كان ولدًا، أصبح إمامًا بعد أبيه، وأن يرعاه راشد حتى يبلغ ويدير الأمور بنفسه، وكان لراشد احترامٌ واسعٌ لدى الجميع لمكانته العظيمة لدى الإمام المغدور، ولله الحمد فقد جاءت الأقدار بالخبر السعيد بعد أسابيع، ووضعت "كنزة" مولودًا ذكرًا، اعتبره كلُّ من شاهده نسخةً من أبيه، فأسماه راشد إدريسَ على اسم أبيه إلى جانب مهام راشد في إدارة الدولة الفتية وترسيخ دعائمها في مناطق سيطرتها، ركَّز راشد على أخطر

المهام الموكلة إليه، وهي حماية وتنشئة الطفل إدريس ليستطيع أن ينهض بالمهمة الخطيرة التي يُؤهَّل لها في سنوات حياته اللاحقة.

لم يكد الطفل إدريس يُتم عامه الثامن، حتى كان راشد قد أتمَّ تحفيظه القرآن الكريم كاملًا، ثم شرع في تعليمه العلوم الشرعية، واللغة العربية وآدابها، والشعر العربي، وتواريخ الأمم والملوك المختلفة، إلى جانب تعليمه مبادئ الفنون القتالية والرماية، وأصبح عامًا بعد عام أقرب من اللحظة التي يستطيعُ فيها أن يتولَّى شؤون نفسه، وقيادة الدولة التي أسَّسَها أبوه.

وفي عام 188هـ، وبينما اقترب إدريس بن إدريس من إتمام عامه الحادي عشر، حدثت فاجعة كبرى كادت أن تزلزل الدولة الإدريسية، فقد تمكَّن والي تونس للعباسيين إبراهيم بن الأغلب من رشوة بعض البربر المحيطين براشد، فنجحوا في اغتياله على حين غرة، بعد أكثر من 15 عامًا من وصوله إلى المغرب لاجئًا، وقيامه بمهمة الوصاية على دولة الإمام إدريس لما يقارب عقدًا من الزمن.

وفي تلك الظروف الصعبة التفَّ البربر وقادتهم من أصحاب الولاء للأدراسة حول الفتى إدريس بن إدريس، وبايعوه إمامًا في شهر ربيع الأول من عام 188هـ، بعد ما يقارب 20 يومًا من اغتيال مربيه راشد، وخطب إدريس الثاني يوم البيعة خطبةً عصماء رغم حداثة سنه، أكدت لجموع الحاضرين مدى ذكائه وتفرده، وكذلك روعة ما بذله راشد في تأديبه وتعليمه، وبحق يعتبر إدريس بن إدريس، هو المؤسس الثاني لدولة الأدارسة، فقد قويتْ الدولة في عهده كثيرًا، وانساب إليها الآلاف من المؤيدين من العرب والبربر، حتى ضاقت بهم العاصمة وليلي، فبنىَ عاصمةً جديدةً لدولته هي مدينة فاس التاريخية الشهيرة.

وفي عام 202هـ، استضاف إدريس بن إدريس في فاس الآلاف من اللاجئين الأندلسيين من ثوار الرَّبَض الذين قمع حاكم الأندلس الحكم بن هشام الأموي ثورتهم، ودمرّ ربض قرطبة، ونفاهم منه ، وشنَّ إدريس العديد من الحملات العسكرية القوية والتي ضمَّ خلالَها معظم أجزاء المغرب الأقصى إلى دولته، وأفسد محاولات الأغالبة ملوك تونس الموالين للعباسيين لاستهدافه ودولتِه، وتوفَّي عام 213هـ، ودولته تمتد من المحيط الأطلسي غربًا إلى الجزائر شرقًا.....

"والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون"


المولى إدريس الأكبر
هو المولى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط
بن علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء إلى المغرب بعد وقعة فخ عام 169هـ موافق 786م رفقة مولاه راشد
مرورا من مصر ثم القيروان فالمسيلة ثم مدينة طنجة واستقر بمدينة وليلة
الرومانية حيث بايعته القبائل الأمازيغية يوم الجمعة 4 رمضان عام 172هـ موافق
6 فبراير 789م وجعلها عاصمة ملكه
كان الهدف من دعوته السير على نهج جده المصطفى صلى الله عليه وسلم
في نشر الدين الإسلامي وذلك أسس أول دولة إسلامية مغربية مستقلة وقضى
على الطوائف الضالة وبنى عدة مساجد ووحد البلاد وقد وصلت فتوحاته
حتى مدينة تلمسان شرقا حيث بنى فيها مسجدا ومنبره الشهير عام 174هـ موافق 792م
ومن آثاره كذلك ضرب الدرهم الإدريسي بمدينة وليلة عام 174هـ موافق 792م
أغتيل المولى إدريس عام 177هـ موافق 793م بأمر من الخليفة العباسي
هارون الرشيد وترك زوجته كنزة حاملا من سبعة أشهر
فقام راشد بتدبير شؤون الدولة حتى ميلاد المولى إدريس الثاني
الذي تلقى التربية الضرورية فتمم رسالة أبيه وبنى مدينة فاس
حيث دفن فيها
بني ضريح المولى إدريس الأول بأمر من السلطان
مولاي إسماعيل
عام 1110هـ موافق 1698م

12. الإمام زيد بن علي عليه السلام: من أحب الحياة عاش ذليلا.....

بسم الله الرحمن الرحيم

25محرم -121

9محرم143-

قصة مؤثرة عن استشهاده عليه السلام

ما أشبه البارحة باليوم

مع إطلالة نور الفجر الأول كان الإمامُ في محراب المناجاة وسطع صوتُ المؤذن: اللهُ أكبر.. اللهُ الأكبر.. حي على الصلاة.. حي على خير العمل، وتقدّمَ الإمامُ ليصليَ بالناس في خشوع لا مثيل له، فالسكينةُ والطمأنينةُ كانت قد تمكنت من قلبه، وما كانت ساحات الجهاد ورقاق السيوف لتشغله عن أداء فريضة الصلاة، كان يؤمنُ أن النصرَ بيد الله، ويرى أن النصرَ الأعظمَ هو الشهادةُ في سبيل الله.....

وبعد أن أتمَّ صلاتَه وعلا صوتُ مؤذن الجهاد: حي على الجهاد، حي على الجهاد، ودقتْ طبولُ الحرب وعلتْ أصواتُ المجاهدين بالتكبير وانتظمتْ الصفوفُ وقسّم الناسَ إلى ميمنة وميسرة وقلب، وامتطى الليثُ صهوةَ جواده والنورُ يشعُّ من بين عينيه، وتقدمَ الصفوفَ ثم استدارَ نحوَ أصحابه فتعلّقت الأنظارُ به، وخُمدتْ الأصواتُ، وانسابتْ الكلماتُ من بين شفتيه فقال:

"الحمد لله مذعناً له بالاستكانة مقراً له بالوحدانية، وأتوكل عليه توكل من لجأ إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى والمرتضى الأمين على وحيه، المأمون على خلقه، المؤدي إليهم ما استرعاه من حقه حتى قبضه إليه صلى الله عليه وآله وسلم

أيها الناس أوصيكم بتقوى الله، فإن الموصي بتقوى الله لم يدخر نصيحة ولم يقصر عن إبلاغ موعظة، فاتقوا الله في الأمر الذي لا يصل إلى الله تعالى إن أطعتموه، ولا ينتقص من ملكه شيئاً إن عصيتموه، ولا تستعينوا بنعمته على معصيته، وأجملوا في طلب مباغي أموركم وتفكروا وانظروا"....

ثم تقدم الإمام الصفوف وانطلق بأصحابه نحو جموع أهل الشام وخفقت راية الحق والحرية تحملها تلك الثلة المؤمنة لترسم للأحرار والمؤمنين طريقهم وما هي إلا لحظات حتى ظهرت أمام العين تلك الجحافل الأموية الغاشمة يفوق عددُها اثني عشر ألفاً، و تهيأ الفريقان لخوض معركة فاصلة واستعد جيش الإمام لاختراق ذلك السيل البشري وكبح جماح كبريائه فانطلقوا بعزيمة المؤمن الذي لا يفرق بين النصر أو الشهادة، فالكل يتمنى إحدى الحسنيين..

وتفاجأ القائد الأموي العباس بن سعد المزني من هذا الهجوم الجريء فلم يبق أمامه سوى الدفاع ، فأصدر أمره إلى جيشه بالنزول ورصهم صفوفاً متجاورة لا يكاد يستطيع المرء أن يلوي عنقه لشدة تقاربها، ورفعوا الرماح والسيوف في وجوه المهاجمين، والتحمت السيوف بالرماح فوق رؤوس البغاة لتشكل حاجزاً حديدياً لحمايتهم من ضربات المهاجمين، وأقبلت العزيمة والإيمان والتقوى لتكون وجهاً لوجه مع الحديد الصلب، فامتلأ الكون ضجيجاً وصهيلاً للخيل ، وتطايرات الشرار لتكون أشبه بالبرق الخاطف في لمعانه.

لقد كان المهاجمون قلة في العدد، لكن كل واحد كان يمثل جيشاً وأمة لوحده، وثبت الجيش الشامي أمام تلك الضربات بضع دقائق ولكن الصدق والإخلاص والعزيمة لدى المهاجمين كانت كفيلة بإحالة الفولاذ إلى رماد، فلا شيء يقف أمام عزائم المؤمنين، فقد تجاوزت تلك السيوف الحاجز الحديدي، ومزقت من تحتها من جنود الجور والبغي، وبدأ الإمام يقاتل مع أصحابه هدفهم هو نصرة دين الله ورفع راية الحق وإزالة ذلك الجور والظلم الذي فرضه الأمويون وأذنابهم على جموع الأمة في كل الأقطار، وأخفق كل من أراد أن يتصدى لأولئك الثلة المؤمنة، وأدرك القائد الأموي أن صراع السيوف والمبارزة لن يجدي مع أمثال هؤلاء، لذا أمر الرماة أن يعدوا أنفسهم ، وبدأ سيل من السهام يتوجه نحو الإمام وأصحابه وكانت صدور القوم تتلقى السهام مقبلة غير مدبرة ، لا تبالي إن وقع في الصدر أو في الذراع، أو في مزق الهامة أو اخترق الثنايا، المهم أن يكون الإمام في مأمن، وأن يُقتلوا مقبلين غير مدبرين.....

حميت المعركة، وكشفت الحرب عن ساقها، وتفرقت الجموع، وكثر القتلى، وكان كل شيء ينادي بالحرية وبإعلاء شريعة الله وهدم عروش الظالمين، وكان نصر بن خزيمة يقاتل جنباً إلى جنب مع الإمام فيصد عنه كل هجمة غادرة أو ضربة مباغتة، لا يشغله عن ذلك شيء وعلى بُعد كان هنالك عين ترقبه لا تشارك في أحداث القتال، كان ذلك الرقيب

يحاول أن يقترب بحذر، يتحرك بتحرك نصر ويسكن بسكونه تارة يقترب حتى يصير على بُعد خطوات وأخرى تراه يبتعد خوفاً أن يناله شيء من تلك الضربات التي يكيلها نصر مرة عن يمين الإمام ومرة عن شماله، وفجأة انشغل نصر بجموع المهاجمين، فإذا بذلك الوغد المسمى" نائل بن فروة" يستل ذلك السيف المرهف والمتميز ليبتر رجله من فوق الركبة، التفت إليه نصر في غضب عارم جمَّد الدم في عروق نائل فشلت حركته وهوى عليه نصر بضربة أردته صريعاً، علم نصر أنها الشهادة فالتفت إلى الإمام ونظر إليه نظرة مودع، كان ألمه لمفارقة الإمام في مثل هذه اللحظة الحرجة يضاعف من آلام الجراح، ولذلك وجه فرسه نحو عدوه والدماء تنزف من فخذه فجعل يضربهم بالسيف ضرب من يبغي الشهادة وتوالت عليه ضربات السيوف ووقع السهام حتى خرَّ صريعاً بعد أن ضرب أروع الأمثلة في البذل والجهاد من أجل رد الحق لأهله ورفع الظلم عن أمته.....

انتصف النهار وساحة القتال ترجح كفة الإمام وأصحابه، واستمر القتال وفي كل لحظة كان الجيش الأموي يزداد كثافة بسبب المدد الوافد من الشام ومن سائر البلدان وتضاعف عدد الرماة الذين بدأوا يقتلون أصحاب الإمام واحداً تلو الآخر، فسقط قائد ميمنة جيش الإمام زيد معاوية بن إسحاق وتلاه عشرات القتلى في صفوف جيش الإمام، وكان كل هذا يحدث ولكن ذلك الجهد الذي كان يقوم به الإمام وجماعة من أصحابه وأهل بيته كمحمد بن عبدالله وبعض إخوانه جعل الخصم لا يشعر بذلك التراجع فالإمام متواجد في جميع الأنحاء.....

وأدرك العجز بعض أفراد الجيش الأموي فأحال دفة الصراع المسلح إلى مناوشات كلامية كشّر فيها الحقد الأموي عن أعماقه وسوء اعتقاده، فانطلقت الكلمات لتنال الأعراض، فهذا أحدهم يتقدم على فرس أبيض فينال من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رمز العزة والعفة والطهارة ليتهمها بأبشع الجرائم..

والإمام في الضفة الأخرى من النهر يسمع تلك الكلمات، كانت أشد وأمضى من السهام، ومن ضرب السيوف.....

فقد سالت الدموع من عينَي الإمام بغزارة حتى ابتلت لحيته، فليس الإمامُ بالرجل الذي يمكن أن يسقط في المهاترات الكلامية، فالإمام يدعو إلى المبارزة الشريفة قائلاً وبصوت يملأ الآفاق: "

أما من أحد يغضب لفاطمة بنت رسول الله؟ أما من أحد يغضب لرسول الله؟ أما من أحد يغضب لله؟ فأجابه سعد بن خثيمة قائلاً:

"بلى يا ابنَ رسول الله.. والله لئن يمكني الله منه لأختطفن روحه....

وما هي إلا ساعات حتى تحول ذلك الشامي من على فرسه إلى بغلة..

فاستقر عليها واستمر يصب سيلاً من الشتائم على الإمام زيدن وجدته فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين جعل سعد بن خثيمة يراقب ذلك الشامي حتى ابتعد إلى ناحية من أصحابه، فتناول سعد رداء من فوق أحد غلمانه واستتر به وقطع المسافة في هدوء، وجعل يمضي باتجاه الرجل حتى استقر فوق رأسه وهوى بسيفه ففصل الرأس عن الجسد، وبسرعة خاطفة ألقى الجسد الخبيث من فوق البغلة، وقاد بزمامها وأقبل مسرعاً نحو أصحاب الإمام، تحرك الخيالة وانطلقوا لأخذ الثأر لصاحبهم، ولكن خيل الإمام كانت أسرع فأحاطوا بسعد بن خثيمة ومنعوهم من الوصول إليه ، فأقبل الإمامُ نحوَه مُسرعاً وقبّله بين عينيه وقال أدركتَ والله ثأرنَا أدركتَ والله شرفَ الدنيا والآخرة.....
سعد: إليك يا سيدي سلب الشامي.. استعن بها على حرب القوم
الإمام....لا والله، بل هي مني لك تنفيلاً.....

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر محرم سنة 121هـ كانت الشمس توشك على الغروب، فقد غاب شيء من توهجها، وبدأت تجمع أشعتها، وبدأ يخفت نورها، فبدأ الأفق شاحباً شديد الحمرة، وانطلق سهم غادر من قوس متمكن ليخترق الأجواء، في سرعة خاطفة مزق الأجواء، وبعثر حبات الهواء، غاب في عمق الغبار المتصاعد وتجاوز كل من كان يحمي الإمام، لم ينحرف لقد كان أسرع من أن يتراجع استقر وليته لم يستقر وجعل الجبين الطاهر الأغر له محلاً وأعلنت شمس السماء عن حلول وقت رحيلها وأعلن البدر في ساح الوغى حلول أفوله وترجل الإمام عن فرسه.....

ووضع يده على جبينه والدم الطاهر ينزف من جبينه ليمثل عيناً جارية تزين وجه الإمام بالحمرة ويختلط عرق الجبين بحمرة الدماء وتتخضب تلك اللحية العشماء بالدم الذي كثيراً ما التهب واحترق من الألم عند ذكر أحوال الأمة فمن أجل دعوته إلى كتاب الله استحل الجبناء سفك دمه و من أجل دعوته لإحياء سنة رسول الله أهدروا دمه لكي لا يتركوا لمسكين حام يحميه أو مدافع يذود عنه،
شكّل جيش الإمام حلقة حول الإمام حتى حجبوه عن أنظار العدو وبدأوا بالتراجع بشكل غير ملفت، واستغل الجيش الأموي فرصة التراجع لجيش الإمام لكي يتمكن أفراده من التقاط أنفاسهم وجمع فلول جيشهم المبعثر فأغمدوا سيوفهم وبدأوا بالتراجع، ولم يستشعر أحدٌ من الجيش الأموي الكارثة التي حلت بأصحاب وظنوا إنما الأمر مجرد تراجع للمبيت، فجعلوا يحصون قتلاهم وينظمون
صفوفهم لخوض معركة الغد القريب.....

وهناك في معسكر الإمام كان الأصحاب يمرون بأحرج اللحظات، فقد هرع أصحابَ الإمام لإحضار طبيب، ودخل الطبيبُ وكان اسمه سفيان، والإمام ملقى في حجر محمد بن سلمة الخياط ..وكان مولى لبني فراس وإلى جواره ولده يحيى بن زيد، ومحمد بن عبدالله، وجمع من أصحابه وذلك في بيت حران بن أبي كريمة في سكة البريد، وكان أنين الإمام يحكي عمق الآلام التي يقاسيها في تلك اللحظات، ورغم هذا كان يدير نظره بين وجوه أصحابه في إشفاق.....

ولم تتوقف شفتاه عن الحركة كان في حالة ذكر واستغفار، وجلس وبدأ يمسح الدم من على جبينه ويركز الطبيب إلى جوار رأس الإمام على مكان خروج الدم
يمسحه مرة تلو الأخرى. وظهرت ملامح الخوف على وجه الطبيب.....
الإمام:
ما الأمر أيها الطبيب هلا نزعت السهم؟ فالألمُ يزدادُ بشدة
كانت تلك الكلمات تخرجُ من صوت خافت وضعيف
دمعت عينا الطبيب.. وانعقدت الكلمات على لسانه
فتدخل يحيى بن زيد قائلاً
ما الأمر أيها الطبيبُ؟ حاول أن تفعلَ له شيئاً.....
الطبيب: يا بني ليس بين والدك والرحيل عن هذه الدار إلا نزع هذا السهم، فالسهم قد بلغ الدماغ.....

شهق يحيى شهقة اهتز لها جسمه ودمعت عيناه وأكب على والده وقال أبشر يا أبتاه، تُقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي، وفاطمة، وخديجة، والحسن، والحسين، وهم عنك راضون.....
فقال له الإمامُ زيد (ع) بصوت ضعيف خافت قد أجهده الألم وكثرة النزيف
"أجل يا بني ولكن أي شيء تريد أن تصنع؟"
يحيى بن زيد: أقاتلهم والله ولو لم أجد إلا نفسي.....
زيد : افعل يا بني فإنك والله لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل وإن قتلاك لفي الجنة وقتلاهم لفي النار.....
ثم التفت إلى الطبيب وهو يردد الشهادتين وأشار إليه بنزع السهم، وفاضت روحه الطاهرة لتودع عالم الدنيا، وتستقر إلى جوار ربها وتجاور الأحبة في جنة الفردوس، وأظلتْ المكانَ سحابةٌ كثيفةٌ من الحزن الصامت، وبدأت العيونُ تذرفُ الدموعَ بغزارة وصمت مطبق ،مزق ذلك الصمت صوت الفتى المؤمن المبتلى في أبيه عندما قال: الحمد لله الذي حقق مُناه، فقد كانت الشهادة في سبيل الله غاية أمله ومناه، فها هو يموتُ بسُيوف فراعنة وجبابرة الظالمين، فهنيئاً له ذلك،

ثم التفت إلى أصحابه مخاطباً لهم:
فما الرأيُ الآن يا قوم ، أخاف أن ينتشرَ الخبرُ فيباغتونا، فتؤخذ منا الجثة ويمثَّل بها فأين تريدون أن نواري جسده؟

اضطربت الآراء حول ما هو الأصوب فقال قوم نلبسه درعين ونلقيه في الماء وقال آخرون نلقيه بين القتلى، فقال لهم يحيى بن زيد : والله لا يأكل لحم أبي السباع.....

ثم استقر رأي الجميع على دفن الجثة في بستان في العباسية وإخفاء القبر حتى لا يعلم أحدٌ موقعه، فاجتمع من تبقى من خواص الإمام وأهل بيته وحملوا الجثة في
وأوقفوا ساقية من الماء كانت تجري في وسط الظلام،
وقاموا بتحويلها إلى مكان آخر وبدأوا الحفر في مكان تلك الساقية ثم دفن وأعيدت الساقية إلى مجراها من فوق القبر،كل ذلك كان يتم بمنتهى السرية إلا أن عيناً كتبت على نفسها الشقاء في الدنيا والآخرة كانت ترقب ذلك المشهد من بُعد، كان الغلام السندي ،غلام أحد الخياطين- يتبعُ أثرَ القوم حتى اطلعَ على كل شيء
وبعد يومين من القتال كان قد أدركَ أفرادُ الجيش الأموي عظيم خسارتهم في اليوم الأول والثاني وكان الرعب قد خيّم في القلوب فما إن دخل أحد القواد على يوسف بن عمر، حتى صاح به يوسف،
أجيشٌ قوامُه الخمسمائة يثْبُتُ لجحافل الجيش الأموي المدرب؟ وكيف إذا كانوا مجرد عرباناً جلاف حفاة لا خبرة لهم بالحرب وفنونه.....

يا سيدي والله لو تأملت قتالهم وشدة صبرهم ، لجعلت الواحد منهم يعد بالمائة، والله لولا الرماة كفونا شر المبارزة لأفنونا جميعا...
يوسف بن عمر : اسكت أيها الأحمق ، والله لو سمع الجيشُ وصفَك ما ثبتوا لهم من الغد ساعة ، أخرج لا بارك الله فيك، وطلع الصباح والجيش الأموي في حالة من الذعر والفزع والضعف لما نالهم من أصحاب زيد، ولكن الأوامر كانت تقضي بضرورة المواجهة والاستمرار إلى أن يحسم الأمر مع الإمام وأصحابه، وانتظروا مدة من الزمن فإذا الأخبار بمقتل الإمام زيد (ع) تطرقُ أسماعَهم لتملأ قلوب المجرمين سروراً كما امتلأت قلوب المؤمنين حزناً وألما.....

وإذا كان الأمويون لم يستطيعوا أن ينالوا من شخصية الإمام حياً بعد أن قارعهم في بداية حياته بالحجة والدليل ، وفي آخرها برؤوس القنا وحد وسارعوا إلى السيوف فقد عبّروا دناءة النفوس وانعدام الفضيلة فيهم الإعلان عن بذل المكافآت مع لكل من دل على الإمام وصاحبيه نصر بن

خزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وما هي إلا ساعات حتى أقبل ذلك الغلام على الحكم بن الصلت فأخبره عن موقع القبر.....

الحكم بن الصلت : من يذهب فيأتينا بجثته؟؟

صمت الجميع تهيباً لبشاعة الموقف وكأن على رؤوسهم الطير

أما فيكم من يجرؤ عليه ميتاً؟ فكيف لو كان حياً إذاً لتركتم له :الحكم العراق ووليتم فراراً؟ قم يا حجاج بن القاسم، فأت به في الحال، وانطلق الحجاجُ بنُ القاسم في بعض أعوانه حتى أتوا على البستان فنبشوا القبر واستخرجوا الجُثة وحملوها على ظهر بعير، وعلى باب القصر كان الجميعُ ينتظرون وصولَ جُثة الإمام

الجمل في وسط الجموع المحتشدة وبدلاً من إقعاد الجمل وإنزال الجثة أشار الحكم بن الصلت إلى بعض جنوده بفك وثاقها فهوت جثة الإمام إلى الأرض

وضع الجميعُ أيديَهم على قبضات سيوفهم.....

وكأن الإمامَ ترجَّل حياً لا ميتاً

فرحم الله أبا الحسين أفزعهم حياً وميتاً..... وما هي إلا لحظات حتى فصل الرأس عن الجسد.....

وحُمل الرأسُ الشريفُ إلى يوسف بن عمر.. فأمر أن يُطافَ به في وجعل الناس ينظرون إليه في إجلال واحترام..... فلكم طالت ..شوارع غيبة هذا....

الرأس وتخفيه..... ولكم اشتاق الناسُ إلى رؤيته

وتجرأت ألسنُ السفهاء فصاغت مكنونَ قلوب مريضة فاندلع سيلٌ من الشتائم والسباب لتكون وسيلة لهم يتقربون بها من قلوب ولاتهم لينالوا بها لقمة عيش حقيرة، وسريعاً انتقل الرأسُ الشريفُ تحوطُه أيدي السفهاء وعُباد الدرهم والدينار بعناية شديدة ليجوب صحاريَ العراق والشام، ومع طلوع شمس أحد الأيام فتحت دمشق أبوابها ليدخل وفد تشيعه الطبول والأهازيج.....

ويرتفع في وسط هذا الجمع ثلاثة من الرماح تحمل ثلاثة من الرؤوس.....

ووقف الناس عن يمين وشمال الطريق ينظرون إلى هذا الوفد، كلٌّ يسألُ صاحبَه: من أصحابُ هذه الرؤوس؟؟؟

وخرج هشام من قصره يحوطه جندُه وتشيعه حاشيته ويتبختر في مشيته وأقبل الوافدون عليه وقد أنزلوا الرؤوس، ووضعوها بين يديه، وتقدم متكلمهم قائلاً

مولاي أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين هشام بن عبدالملك بن مروان.. مولاي يوسف بن عمر والي العراق يبلغك السلام ويقول لك طلباً لرضاك ووفاءً لك قتلنا الفاسق بن الفاسق زيد بن علي.. وصاحبيه

معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة.. ونصر بن خزيمة.. وها هي الرؤوس بين يديك.....

جعل هشام يمعن النظر في رأس زيد، وهو لا يكاد يصدق أنه رأس ذلك الذي أقض مضجعَه وعكر صفوه بالأمس القريب وارتفعت أصوات الوزراء بالتهاني تبارك للخليفة نصره ويدعون له بطول البقاء ودوام الصحة، وتقدم الخطباء والشعراء يتبادرون في ميادين البلاغة والفصاحة يبالغون في المدح والإطراء لهشام وبني مروان ولا يألون جهداً في الذم لزيد وآل البيت عليهم السلام.....

أمر هشام أن يُرمى الرأسُ بين الدجاج وجعل هشام في كل يوم يخرُجُ إلى الناس ويرفع الرأسَ على رمح ثم يجمع له الناس وبدأ الخطباء والشعراء في اختلاق النقائص لعلهم بذلك يحقرون من شأن صاحب ذلك الرأس ،ثم رفع فوق باب دمشق مدة من الزمن.....

فسلام الله عليك سرمدا أيها الإمام الطاهر يا سيدي زيد يوم ولدت و يوم استشهدت و يوم تبعث حيا.....



13.الخاتمة

اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية لكمالك و عد كماله

التاريخ مرآة الشعوب قالها الأولون و التاريخ إضافة لما يروي عن الماضي فإنه يؤثر في الحاضر و يهذب المستقبل، و من السخافة بمكان الاستهزاء بدور التاريخ في تطوير الشعوب فعلى سيل المثال فقط نرى أن "الكيان الصهيوني" و بأمر من أعلى سلطة في وزارة التعليم قرر رفع معامل مادة التاريخ إلى أقصى الحدود في كل مراحل التعليم!!!!

و هناك أمر أخر يخص المواقف التي يجب على كل فرد أن يتخذها من تلقاء نفسه و باستقلالية فكرية تامة بعيدا عن كل تعصب في هذا الصدد و في مقال مطول قرأته لأسقف و قص جنوب إفريقيا

Desmond Tutu"دسمند توتو" أو

في هذا المقال يتبرأ من كل مسيحي لا يأخذ موقفا حازما من أحداث تاريخية جرت إبان الحروب بين ملوك الطوائف المسيحية و يرى أن أي موقف حيادي في هذا الشأن هو خيانة عظمى لتعاليم المسيح عيسى عليه السلام....

و عودة إلى موضعنا الذي هو محل نقاش علمي ،منطقي و أخوي يحضرني في هذا المقام مقولة شهيرة للمرحوم الشيخ متولي الشعراوي وأنا أشاهده وأستمع له عبر شاشة التلفزيون منذ أكثر من عقدين من الزمن وهو يحلل أحداث تاريخية جرت بين المسلمين بكل دقة و واقعية في التعبير و الإفصاح فيقول:

من الممكن أن يلتقي باطل ضد باطل*

و من الممكن أن يلتقي حق ضد باطل*

و لكن من المستحيل أن يلتقي حق ضد حق!!!

و من هنا يتبين جليا أن كل مسلم ملتزم بشريعة الله تعالى و هدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون إيجابيا في اتخاذ موقف حازم و واضح و الحياد في هذا الإطار يعتبر خذلان للحق و إظهار للباطل.....

و من الأهمية بمكان إننا في صرد أحداث تاريخية كالموضوع الذي بين أيدينا عن "سيدنا و مولنا محمد النفس الزكية" أو عن أحداث أخرى تتعلق بمحن و مصائب و مظالم جرت في حق آل البيت عليهم السلام عبر التاريخ و الأمصار، فإننا في هذا الموقف لا نستنجد عطف المتعاطفين و لا نبالي بما يقوله السفهاء فنحن ندرك عين و علم و حق اليقين أن كل ثورات آل البيت عليهم السلام كانت على حق وأعدائهم كانوا على الباطل مصدقا لقوله عز وجل: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا" وبالتالي من شك في آية

فقد شك في كتاب الله تعالى والعياذ بالله....

بالطبع صرد الأحداث التاريخية لا يعني أبدا نبش في القبور و لا مجاهرة بالأخطاء التي ارتكبت في حق العترة الكريمة إنما كما أسلفنا سابقا إظهار للحق و إبطال للباطل

أكتفي بهذا القدر و أشكر كل السادة الأشراف و الإخوة الأعزاء على حسن الإصغاء و بارك الله في الجميع والله وراء القصد و هو يهدي السبيل.....

نرجو من الله تعالى ان نكون قد بذلنا جهدا في هذه الدراسة المتواضعة ، و التي كان وراءها أخينا الفاضل الأستاذ محمد بن أحمد باغلي حفظه الله تعالى و رعاه وإنجازنا لهذه الدراسة حول مصائب آل البيت فإنه لم يكن لدينا مسعى لهذا المبتغى بالدفاع عن آل البيت و الأشراف عموما أو نيابة عنهم ، صحيح كوني اعتز بانتمائي إلى الدوحة الشريفة و محبين و منتمين في آن واحد لهذه العترة المباركة و الحمد والمنة لله و حاشا لله من كل فخر فهم مصابيح الدجى فما حولنا إظهار فضلهم على أمة الإسلام فوالله لن نستطيع فعل ذلك كيف ذالك بل ليعلم الناس أن قضية أهل البيت عليهم السلام هي قضية دين وعقيدة وليست قضية عصبية أو قبلية أو مجرد انتماء عقيم فقد قال صلى الله عليه و اله و سلم:

" انتم أمناء على أنسابكم لعن الله الداخل فينا بغير نسب و الخارج منا بغير سبب".

و كيف للمرء أن يتعصب أو يستعلي و أهل البيت كانوا كلهم اقرب الناس إلى البلاء و اقلهم حظا في الراحة و العيش الرغيد " و ما منا إلا مقتول أو مسموم" كما روي عن الإمام علي كرم الله تعالى وجهه وتاريخ آل البيت يفيض بالماسي و الآلام والمحن بما تنفطر له القلوب و كما أن المعادن النفيسة لا تزيدها النار إلا إشعاعا و نورا فكذلك آل البيت لم يزدهم الابتلاء إلا إظهارا لفضائلهم ورفعة لدراجتهم.



و بالله تعالى التوفيق

و صلى الله على سيدنا محمد و آل سيدنا محمد

الجزائر العاصمة:

19 ربيع الثاني1432- 24 مارس 2011.

محمد (عبد القادر) بوكريطة الإدريسي الحسني

نبذة عن المؤلف

محمد عبد القادر بوكريطة كاتب وباحث ومترجم جزائري، يقيم في الجزائر العاصمة. جمع في مسيرته بين العمل المصرفي والإدارة والتدريس والترجمة والبحث التاريخي، ودرس اللغة الإنجليزية والترجمة والكتابة الصحفية في بريطانيا، إلى جانب الإدارة والتسيير في الجزائر. شغل مناصب في القطاع البنكي، وعمل مترجمًا وأستاذًا متعاقدًا في المدرسة العليا للمصرفه. يكتب بالعربية والإنجليزية والفرنسية، ويهتم بالقيم الأخلاقية والإجتماعية والتاريخ الإسلامي وتاريخ آل البيت. من مؤلفاته «الإمام زين العابدين» و«هدّارة والنعام».

من تائية دعبل الخزاعي

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصبات

منازل وحي الله ينزل ببنها ... على أحمد المذكور في السورات

منازل قوم يهتدى بهداهم ... فيؤمن منهم زلة العثرات

فيا رب زدني في هواي بصيرة ... وزد حبهم يا رب في حسناتي



stillatruthseeker@gmail.com